تهذيب الصحاح

تأليف
محمود بن أحمد الزنجاني

القسم الأول

تحقيق

عبد السلام محمد هارون — أحمد عبد الغفور عطار

عني بنشره
محمد سرور الصبان

دار المعارف بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى حضرة صاحب الجلالة مولاى الملك المعظم

عبدالعزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

يا صاحب الجلالة ، لقد منّ الله على جزيرة العرب بجعلك عليها والياً ، وللقرآن حامياً ، وللغته حارساً ، ووفقك لأن تنصر اللغة العربية وتُعِزَّها بما وهب لك من قدرة قادرة على النصر والإعزاز والتمكين .

فأنتم — يا صاحب الجلالة — أجدر من أهدى إليه هذا المعجم الذى جمع فيه مؤلفه من صحيح العربية ما يوثق به ، ويُطْمَأَنُّ إليه ، وأضاف إليه محققاه فى حواشيه ما ندر من معارف اللغة ، وغرائب التحقيق ، وفرائد التأصيل ، ما جعل هذا المعجم العربى جديراً بأن

يُرْفع إلى مقامكم الكريم ، فإنك ملك العرب ، وحارس العربية ، ومُعِزّ العروبة ، ومحيي السنة .

ولهذا فإننى إذْ أهدى هـذا الكتاب القيم النفيس إلى جلالتكم فإنما أعيد الشيء إلى أهله ، وكل أملى أن ينال عملى وعمل المحققَيْن من رضاكم ما يجعل صغيره كبيراً ، لأن قبولكم له ، سيضاعف من قيمته ، ويحملنى على السير فى الطريق القويم الذى مهده جلالتكم ليسير فيه أفراد شعبه ، والحمد لله على آلائه ، والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله .

محمد سرور الصبان

مكة فى الخامس من رجب ١٣٧١



محمد سرور الصبّان

ارس العربية ،

س إلى جلالتكم
وعمل المحققين
سيضاعف من
لالتكم ليسير فيه
نبيه محمد وآله .

سرور الصبان

تصدير

بقلم

محمد سرور الصبان

منذ ثلاثين سنة كنت أفكر مع زملائى الأدباء فى مكة فى إصلاح اللغة العربية وتسهيل قواعدِها ، لأنى رأيت ما يعانى طلابُ العلم من عنَت ونصب ومشقة لا قِبَلَ لهم باحتمالها ، وما يلقى الناسُ فى القراءة من صعوبة تُبعِدهم عن قراءة الآثار العربية قراءة صحيحة لا خطأ فيها ولا لحن فى إعراب الكلمات ، وطلبتُ إلى زملائى أن يُدْلِىَ كل منهم برأيه مكتوباً حول هذا الموضوع ، وهو يُعَدُّ الموضوعَ الأول الذى يجب أن يبحثه العلماء والكتاب ، ويَبذُلوا فيه خيرَ الجهود حتى ينتهوا إلى جَعل العربية سهلة فى الحديث والكتابة ، ويمهدوا الطريقَ الذى يسلكه طالب العلم فيُفضى به إلى الفصحى دون كد أو إجهاد .

وأجاب كثير منهم أجوبة جمعتُها فى كتاب سميته « المعْرِض » ونشرتُه مطبوعا منذ ثمان وعشرين سنة .

وكنتُ أرى — وما زلتُ — أن تُؤَلَّفَ مجامعُ لغوية فى كل قطر عربى ، وتكونَ الصلة فيما بينها وثيقة ، ويكونَ كلُّ مجمع على صلة بالمجمع الآخر وأعماله وآرائه وأعضائه حتى يكونَ على علم بكل ما يدور

فيه ، ويُعْقَدَ « مؤتمر » عامٌّ في كل عامٍ يحضره رؤساء هذه المجامع وأعضاؤها أو أكثرهم ويبحثون ما يريدون بحثه ، ويضعون القواعد التي يجب فيها الإجماع ، والخطط التي يسيرون عليها .

وأن يكون عمل هذه المجامع تسهيلَ قواعد العربية وحذفَ الفضول من كتب النحو والصرف مما يُعَقِّدُ على الطالب وغير الطالب — من غير الراسخين في العربية — لغته التي يعبر بها عن تجاربه الشعورية وخواطره وأحلامه وأمانيه ، ويكتب بها آدابه وفنونه وعلومه . وتُؤَلَّفَ كتب في النحو للطلبة ، و « مرجع » كبير للعلماء يُتَّفَقُ عليه من قِبَل المجامع اللغوية والعلمية ، ويتقيدون بما يُؤَلَّفُ في هذا الباب ، ولا يخرجون عنه ، ويعملون على نشره في كل بلد عربي .

وكان رأيي أن يسبق ذلك كله توحيدُ برنامج التعليم في العالم العربي كله ، وما زال رأيي كذلك حتى الآن ، وأحمد الله على أن بعض رأيي قد تحقق ، ولكني أود أن يكون برنامج التعليم في جميع الأقطار التي تتكلم العربية واحداً .

وإذا وَحَّدْنا برنامج التعليم وجعلنا الثقافة العربية عامة فإن اللغة التي يتخاطب بها الناس سترقى ، وتتقارب اللهجات العامية التي يتكلم بها العرب في كل مكان ، تلك اللهجات التي يصعب فهم كثير من ألفاظها عند من لا ينطقون بها ، فالحجازي العامي إذا قال لمصري أو شامي مثلا « اندر » لم يفهم مدلوله العامي الذي يؤدي معنى اخرج .

فتوحيد برنامج التعليم ونشر الثقافة العربية والعناية بالصحافة تقرب بين العرب ، وتنهض باللغة العربية وتحدُّ من سلطان العامية ، وكل هؤلاء مما يعين على رقى الفصحى ، وإعادة السلطان إليها .

وإن كتب النحو التى ألفها المتأخرون ، والشروحَ المطولة المختلفة على كتب النحو الكبيرة مثل « الكتاب » لإمام النحو والنحاة سيبويه ، وأَلْفية ابن مالك ، واختلافَ مدارس النحو صعَّبتْ على العرب لغتهم ، ودفعت بطالب العلم فى مَتِيهة يضل فيها الدليل الحاذق ، وبحرٍ يضطرب فيه فلا يصل إلى سِيف إلا بعد أن يجهد ويعيا[1] .

إن إمام النحو والنحاة سيبويه أحسن إلى العربية بضبط قواعدها إحساناً عظيماً ، ولكن خصوم مدرسته ، ثم تلامذة سيبويه أنفسهم حلُّوا ذلك الضبط بمختلف النظريات والآراء المبنية على الأقوال المصنوعة المجهول قائلوها ، والشواهدِ المدسوسة على كبار الشعراء الجاهليين وغيرهم ، وجعلوا الناس مضطربين لا تجمعهم قاعدة إلا لتفرقهم شواذها .

وكان بحسب العربية « الكتاب » مضافاً إليه ما أغفله سيبويه من قواعد العربية ، وتركُ كل ما عدا ذلك مما يورث الاضطراب والخصومات التى لا نفع من ورائها للعلم والفكر ، وكان بوسع العلماء

---

(١) راجع فى مجلة الرسالة : السنة الأولى ، مقالا بعنوان « آفة اللغة هذا النحو » لأحمد حسن الزيات وعلى الطنطاوى .

إيجازُ ما جاء فى الكتاب وما أغفله فى كتاب صغير للطلبة وإبقاء كتاب سيبويه العظيم وتكملته مرجعاً للعلماء بعد النقد والتمحيص .

ولكن ذلك لم يكن ، فكان ما نرى من مدارس ومذاهب فى النحو ، وهذه المدارس التى تنتسب إلى أساطين النحو ذات أتباع كثير ، كل منهم يسعى جاهداً لتأييد مدرسته ، وأن تكون كلمتها هى العليا ، وأن يزعزع مكانة المدرسة الأخرى بتخطئتها بكل ما يملك من قوة دون أن يريد العلم الخالص ، أو يبتغى الحق الصراح .

وكان الصراع بين النحاة المنتسبين إلى مختلف المدارس قوياً عنيفاً جعل كل فريق يلتمس خطأ الفريق الآخر ويَدُسُّ عليه ويفتَعِلُ الأدلة ، وقد يخترع الشواهد ليقيم الحجة على الخصم ، وكل منهم يجهد نفسه ليصوبَ خطأه ، ويخطِّئَ صواب خصمه ، ولم تهدأ الحرب النحوية حتى الآن ، بل ما زالت الفتن التى يثيرها مشبوبة الضرام ، يذكيها ما خلفت المدارس النحوية وما خلف النحاة من أقوال . وهذا مما أدى إلى تأخر اللغة وجمودها .

وكان سلطان النحاة يخيف كبار الشعراء والأدباء والعلماء ، ويحملهم على أن يحسبوا ألف حساب للنحو خشية الوقوع فى خطأ ، وكانوا فرقاً ، كل فرقة تتبع مدرسة وتتأسى نحوياً ، فإذا أخطأ أحدهم وجد فى أقوال النحاة وتأويلاتهم ما يسوغ الخطأ .

ويعزى إلى سلطان النحاة بعض أسباب تأخر الآداب والفنون .

وكتب النحو الكبيرة التى ألفتها المدارس مشحونة بالخلافات التى أوجدها الجدل العقيم البعيد عن الحق، والرغبة فى الانتصار بمختلف الوسائل ولو كان الثمن إضاعةَ الحق وإزالةَ الصُّوَى الصحيحة التى يهتدى بها الناس.

وليس بخافٍ عنا ما صنع الكسائى بسيبويه، وما اتخذ من سبيل يفضى به إلى الانتصار على سيبويه، وليس بمجهول قيام بعض العلماء بتسويغ خطأ الكسائى بالتأويلات الغالطة التى لا تقرها قواعد اللغة والنحو.

هذا الخلاف الذى كان بين الكسائى وسيبويه — وكل منهما إمام أكبر المدارس النحوية — أوجده الكسائى نفسه غفر الله له ليخفض من شأن إمام النحو والنحاة. وموت سيبويه لم يضع حداً لهذا الخلاف لأن أتباعه وتلامذته قاموا ينتصرون لإمامهم، ونهض الفريق الآخر يرد عليهم، وزادت نيران الخلاف اشتعالا. والعربية لم تفد من هذا الصراع بل كانت خسارتها منه جسيمة، وتقع على هذه المدارس النحوية والنحاة تبعة تأخر اللغة ووقوفها وجمودها، وعلى اللغويين تبعة وقفها عند الحدود التى تركها العرب دون أن يعملوا على تنمية الثروة اللغوية «المعطلة» بل جَمَّدوها وأعقموها، ثم إن أصحاب المعاجم الذين جاءوا بعد الخليل وابن دريد والأزهرى والجوهرى وغيرهم مشوا على طريقتهم ونقلوا عنهم النصوص دون أن يلاحظوا «التطور» اللغوى

ولم يضيفوا إلى المعاجم شيئاً جديداً ، فكانت معاجمنا حتى الآن نسخاً مكرورة مع فارق فى عدد المواد وبعض الشروح ، وما تلقاه فى معجم تجده فى معجم آخر .

وليس معنى هذا أن معجماً يسد مسد المعاجم الأخرى ، بل أعرف أن لكل معجم ولكل مؤلف ميزة وخصيصة ، ولكن ما فى جميعها من موادَّ يكاد يكون واحداً ، والفارق ذكر ألفاظ أو شواهد، أو إغفال كلمات وموادَّ، أو نقدها ، أو تصحيح خطأ أو بيان تحريف وتصحيف، أو تفرد بشىء ، أو إيضاح معنى مغفل وهكذا .

ولا وجود لمعجم عربى يجمع خصائص المعاجم كلها ، إلا أننى أرى أن قيام مجمع فؤاد الأول للغة العربية بتأليف معجم كبير يكون « الجامع » لكل ما تفرق فى المعاجم وإيجاد آلاف الألفاظ للمسميات الحديثة والمصطلحات الجديدة فى العلوم والآداب والفنون وإضافتها إلى المعجم الكبير أو التفكير فى إضافتها إليه ، وملاحظة « التطور » فى معانى كثير من الكلمات ، وتعميم بعض القياس ، مما يعين على أن تسير العربية إلى الأمام .

ولعل هذه المملكة السعودية الفتية التى تعد موطن اللغة العربية ومهدها الأول والتى تضم أصحاب اللغة الأصلاء من القبائل العربية من قريش وتميم ممن أخذت اللغة عنهم تقوم بتأسيس مجمع لغوى بمكة يشارك مجمع فؤاد الأول ومجمع دمشق ومجمع بغداد الجهود المباركة المثمرة

ويشترك في وضع المعجم الكبير .

إن المعاجم العربية — مخطوطة ومطبوعة — صنوف منها الصعب الذى لا يهتدى الباحث فيه إلى ما يريد إلا بعد النصب الشديد ، ولا ينتهى إلى الكلمة المبحوث عنها إلا بعد جهد جهيد مثل كتاب «العين» المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدى ، و « تهذيب اللغة » لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، و« الجمهرة » لأبى بكر محمد بن دريد الأزدى .

ولولا أن ناشر معجم « الجمهرة » أو محققه وضع لكل ألفاظه ومواده فهارس دقيقة بمثابة دليل إلى الكلمة المقصودة لكان عقيماً .

ومن صنوف المعاجم العربية — مخطوطة ومطبوعة — المكثر الذى ملئ بالشواهد كلسان العرب لابن منظور الذى يعد « دائرة معارف » فى العلم والأدب والفن والطب والفلسفة والدين وغير ذلك ، لزخوره بالشعر والنثر والأمثال والحكم والكنايات والآداب والعلوم والفنون . ومثل « لسان العرب » معجمُ « تاج العروس » لمرتضى الزبيـــدى .

ومن صنوف هذه المعاجم المختصر الجيد الذى يفيد طالب العلم كبيراً أو صغيراً مثل المصباح المنير ، ومختار الصحاح .

وما دمنا بسبيل إحياء تراثنا القديم فعلينا أن نبعثه بعثاً جديداً شائقاً يجتذب الشباب العربى إليه ، ونوجد فى نفسه الرغبة فى البحث والاطلاع ، ونجعله وثيق الصلة به ، حتى تكون النهضة الفكرية فى العالم

العربى صحيحة حقا . وعلى الناهضين بالشعب السعودى أن يفيدوا من المطبعة إلى أبعد حد ممكن ويستغلوها فى نشر ما لدينا من مؤلفات لأدبائنا وعلمائنا ، وبعث مئات المخطوطات النادرة التى تزدحم بها مكتباتنا بعثاً علميا صحيحا .

* * *

وكان فى خزانة كتبى مخطوطة أعجبنى أسلوب مؤلفها فى الشرح والإيجاز ، وقد نص مؤلفها فى مقدمته أنه اختصر « الصحاح » للجوهرى وقال : « إنه لم يغفل منه إلا العشر وجعله فى حجم العشر » وبمعارضتى بعض مواده بالصحاح وجدت ما قال صحيحاً .

وعنّ لى أن أشارك الذين يخدمون العلم بما أستطيع فأنشر هذا المخطوط نشراً علمياً ، وهو جدير بالنشر لأنه معجم دقيق العبارة واضحها ، ومع إيجازه وصغر حجمه فإنه يحوى من الصحاح أكثره ، ولأنه مختصر يفيد طلاب العلم والعربية ممن لا قدرة له على مراجعة المعاجم الكبيرة لبعدها عن متناوله ، ولأنه تراث علمى تجب العناية به والمحافظة عليه .

وكنت أود أن أنشره تحت إشرافى وحاولت ذلك ، ولكن لدىّ من الأعمال ما شغلنى عنه ، وخفت أن يطول حبس الكتاب فى خزانتى، فوكلت أمر تحقيقه ونشره إلى الأستاذ المحقق أحمد عبد الغفور عطار الذى رأى — وأنا معه — أن هـذا العمل لا يبلغ كماله المنشود

إلا إذا ظفر بعناية العلامة الجليل الأستاذ المحقق عبد السلام محمد هارون، الأستاذ بجامعة فؤاد الأول .

وقد قرأت ما كتباه وحققاه فسررت بطريقتهما ، ودقتهما فى التحقيق والتصحيح ، وتحريهما الصوابَ والحقَّ وإشارتهما إلى اللغات الجائزة والمثلثات والقراءات والمعرَّب والدخيل والعامى ، واعتمادهما على مخطوطات نادرة كانت لهما مرجعاً فى عملهما ، وتكملة ما سقط على المؤلف من عبارات الصحاح التى لا يكمل المعنى إلا بها ، إلى غير ذلك مما يجده القارئ فى تحقيقهما الدقيق و« تعليقاتهما » العظيمة التى تدل على أنهما بذلا من الجهود المباركة خيرها وأحفلها بالثمر .

وأنا إذْ أقدم إلى القارئ العربى هذا المعجم المختصر الدقيق « تهذيب الصحاح » لمحمود بن أحمد الزَّنجانى فإننى أقدم وأنا أعلم أننى أقوم ببعض ما وجب له علىّ . وما نشرت هذا المعجم إلا رغبة فى خدمة لغة القرآن مُؤملاً أن يوفقنى الله إلى نشر كتب أخرى مما تحتوى مكتباتنا فى المملكة السعودية من نفائس المخطوطات ونوادرها .

وإنى أشكر الأستاذين المحققين وكل من ساعد فى نشر هذا المعجم بجهوده الأدبية والعلمية، وأسأل الله أن يوفقنا جميعاً إلى ما يحب ويرضى.

محمد سرور الصبّان

مكة المكرمة فى الخامس من رجب سنة ١٣٧١

كلمـــة

بقـلم

عبد السلام محمد هارون

إن صداقتى للأستاذ المحقق الجليل أحمد عبد الغفور عطار لا ترجع إلى عهد طويل ، فليس يزيد عمرها على العامين ، ولكنى أعرف تمام المعرفة أن الصداقة لا تقدر بطول السنين والأعوام ، وإنما تقدر بما لها من تقويم نفسانى ، واشتراك فى نبل الغاية وعلو المقصد .

وقد تكرم الأخ الجليل وبادر التعرف إلىّ على صفحات « الرسالة » فى نبل أخوى وأدب رائع ، فحفظت له هـذه المكرمة التى لا يسديها إلا عالم مهذب ، أدَّبَه أدبُ العلماء ، وهذّبه سمتُ الفضلاء .

ثم ألفيتُه يثنّى هذه المكرمة بأن يطلب إلىّ أن نتعاون فى عمل علمى نُسهِم به فى خدمة هـذه الثقافة العربية ، فكان منّى تردّدٌ فى أول الأمر . وتردَّدت لأنى أعلم أن الأستاذ « عطار » جدير بأن يَحمِل وحدَه هذا العبء مقتدراً ، وأن ينهض به كاملاً . وترددت أيضاً لأنى لا أملك من الوقت ما أستطيع تقديمه لهذا العمل ، ذاك أنى وضعتُ لنفسى منذ عهد طويل برنامجاً علمياً أسعى جاهداً على تحقيقه وتنفيذه ، وأنا أعلم أنَّ هذا البرنامج الضخم قد يحتاج إلى عُمرين إن لم يحتج إلى أعمار ، ولكنه الأمل والرغبة فى الجهاد يحملنى

حريصاً أشد الحرص أن أغتنم كل ما أملكه من وقت لأنفقه في هذا السبيل .

فإزاء هاتين العقبتين ، وقد بسطتهما لأخى الأستاذ عطار ، أحجمت فى بادئ الأمر إحجاماً ، وألقيت عذرى واضحاً ، ولكن الأخ — حفظه الله — قد أبى بفضله إلا أن يقسرنى على أن أكون شريكه فى هذا العمل ، ونقل إلىّ هـذه الرغبة الكريمة عن الصديق الكبير الشيخ « محمد سرور الصبان » ، الذى أكبرت فيه أن يتبنَّى هذا المشروع الضخم .

فنظرت أخرى فوجدت أن للصداقة حكما يجب أن يرعاه الناس فيما بينهم رعاية كاملة ، ونظرت ثالثة فلمحت معنى سامياً جليلاً تسعى إليه الأمم العربية جاهدة ، بل تسعى إليه الإنسانية جمعاء ، وهو « التعاون الثقافى » فألفيت أنى بمشاركتى فى هـذا المشروع إنما أحقق غرضاً كريماً من أغراض هـذا التعاون ، وهو المشاركة فى نشر العلم . وأنا ممن يؤمنون بأن عالماً واحداً مهما بلغ فى العلم والفضل لا يستطيع أن ينفرد بعلمه ، بل لا بدَّ له من أن يستعين بغيره ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، وهو إن ظن أنه قد استبد بالعلم ، وانفرد بالفضل ، غافلٌ عن قدره ، لم يأخذ نفسَه بما أخذ العلماء أنفسَهم به .

ونظرت رابعة فوجدت مهمة علمية لغوية لا تتحقق إلا بهذا

الاشتراك ، وهو أنا لما استعرضنا منهج إخراج هذا الكتاب — وهو منهج متشعب الأطراف — قررنا أن نؤرخ بعض الألفاظ اللغوية المعاصرة فى الحجاز ومصر ، ونردها إلى أصولها العربية ، أو نبين منزلتها فى الفصحى من حيث الصحة أو الخطأ ، فوجدت أن ذلك مما لا يستطيع أحدنا أن ينهض به وحده .

لهذه الأمور جميعاً تبدَّد هذا الإصرار الذى كنت مزمعاً عليه ، ووجدت أن من الخير أن ألبِّيَ هذه الدعوة الكريمة، وأن أخصص معظم وقتى إن لم يكن كله لهذا العمل الذى قدرت له فى بادئ الأمر ثلاث سنوات ، ولكنه بفضل الله تعالى ، وبفضل هـذا التعاون الصادق والنية الخالصة فيما وطّنّا أنفسنا عليه من خدمة هـذه اللغة العزيزة ، لم يستغرق من الزمن أكثر من نصف السنة .

وإنى لمغتبط أشد الاغتباط أن ينطق هذا الكتاب بما تكنه مصر للحجاز ، وما يحفظه الحجاز لمصر من صلة وثيقة طاهرة ، وأخوة كريمة ظاهرة .

عبد السلام محمد هارون

أول ذى القعدة سنة ١٣٧١

المقدّمة

بقلم

احمد عبد الغفور عطار

هذه اللغة الكريمة التى نتحدث بها ونكتب، زاخرة بثروة لغوية لا حدّ لها، ولا قدرة لأحد على إحصائها إحصاء دقيقاً شاملا مضبوطا ، لأن هذه الثروة من العِظَم بحيث يضطرب فى خضمها عشرات الألوف من المواد التى لا يدور منها على ألسنتنا وأقلامنا إلا جزء يسير لا يعدو العُشْر أو أقل من العشر بكثير ، وما زاد عن ذلك فنسىٌّ أو مهجور .

نعم ، إن أكثر اللغة العربية غير مستعمل ، ونكاد نجزم بأن ما يستعمل منها لا يزيد عن عشرة آلاف مادة ، مع أن « تاج العروس » للزبيدى يحوى عشرين ومائة ألف مادة ، فيها من الدخيل ولغة السواد كثير ، فإذا كان ما يوثق بعربيته مائة ألف كان ما يستعمل أقل من العُشْر أيضاً ، لأن فى هذا العشر كلمات دخيلة .

وليس ما فى التاج كلّ اللغة ، بل ما فاتنا منها كثير مما دعا أبا عمرو الشيبانى أن يشير إلى ذلك ويقول ما معناه : ما فاتنا من لغة العرب كثير ، ولو جاءتنا اللغة كلها لجاءنا علم كثير وشعر كثير . وقال الكسائى : « قد درس من كلام العرب كثير[1] » .

ونستدل من هذا على أن اللغة العربية غنية جد غنية بالمفردات اللغوية ، وهى مع غناها العددى لم تضق فى ماضيها عن تجارب الإنسان وخواطره وكل حاجاته وعلومه وفنونه وآدابه ، بل اتسعت لروافد الحضارة والعلوم غير المعروفة عند العرب فى أزهى العصور الإسلامية ، إلا أن المتأخرين جمدُوا وجمَّدوا اللغة حتى اتهمها كثير من المعاصرين بأنها لا تتسع لما تزخر به حضارة القرن العشرين ومصطلحاته العلمية .

وهذا الاتهام ليس كله صحيحاً ، فالعربية مرنة تتسع لكل حاجات الإنسان

---

(١) اللسان ٣ : ٤٣١ .

مهما كثرت هذه الحاجات ، فخصائص هذه اللغة كالاشتقاق وقبول التعريب وغير ذلك مما يعين على أن تفتح صدرها لاستقبال ما يحتاج إليه الناطقون بها وضمّه إليها ، والإذاعة به بين الناس حتى ينتشر.

إن لغتنا جد غنية بالمفردات ، وفى وسعنا أن نفيد من هذه الكثرة الكاثرة ، ونحرص على سلامتها ، وألا نحمّل معنى الحرصِ الجمودَ أو التنكر للجديد ، فطبيعة العربية طبيعة حية سهلة مرنة ، وهى لا تضيق بالجديد إذا لبس رداءها الجميل أو أحسن المقام فى جوارها ، فهى فى جاهليتها لم تضق بالتعريب ، ثم لما جاء الإسلام اتسعت للمعانى الجديدة التى أكسبها الإسلام كلمات كثيرة فى صميمها كانت تستعمل فى غير ما استعمله مثل : الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والمؤمن ، والمسلم ، والكافر ، والمنافق ، والفاسق .

إن هذه اللغة الكريمة لم تضق بأبنائها ولم تبخل عليهم بالكلمات التى يحتاجون إليها فى حياتهم للتعبير عن كل ما يريدون ، بل اتسع جزء منها لكل ما احتاج العالم المتمكن الراسخ فى العلم والأدب والفن والفلسفة وغيرها ، اتسع هذا الجزء — وهو لا يعدو عشرة آلاف كلمة — لكل حاجات العالم الكبير والأديب المطبوع .

وعلى سبيل المثال أذكر أن الأديب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد الذى أعتدُّه أخصب عقلية عربية معاصرة وأكبرها لم يستعمل من اللغة إلا عشرة آلاف كلمة . فى حين أنه ألف ما يقرب من خمسين كتاباً .

وضربت المثل بالعقاد دون غيره لأنه أكثر المؤلفين إنتاجاً ، ولأنه بلغ من الثقافة ما لم يبلغه عربى معاصر، ولأنه كتب فى العلوم والآداب والفنون والفلسفات القديمة والحديثة ، ولأنه استعمل من المفردات اللغوية كلمات كثيرة أخرجها من المعجم ونفخ فيها الروح وأكسبها الحياة والجمال .

هذا الكاتب العظيم ذو الثقافة الواسعة لم يستعمل إلا عشرة آلاف من الكلمات ، وأعتقد أن زعماء الأدب والفكر أمثال طه حسين والمازنى وأحمد أمين

وسيد قطب لم يتجاوزوا هذا العدد أيضاً .

ونخرج من هذا أن المحسن فى اللغة من يحسن التصرف والأداء ، مثل الغنى الذى يكون ذا « رأسمال » قليل ، ومع هذا يغزو السوق ويحتلها حتى ليخيل إلى الناس أنه من أصحاب الثروات الضخمة .

وإذا اتسع جزء قليل من اللغة لكل هذا فإن ما بقى منها متسع لكل روافد حضارة القرن العشرين وعلومه وآدابه وفنونه ، هذا ، إذا أحسنا التصرف فيه ، وفتحنا أبواب الاشتقاق والتعريب ، وأخضعنا ما نريد تعريبه للقواعد العربية وموازينها .

ونحن فى هذه الأيام على أبواب نهضة لغوية جديدة يجب أن نغذيها بالإحياء والتعريب والوضع حتى نضخم ثروتنا اللغوية بحيث تكون لغتنا غنية تستطيع أن تقوم بكل حاجات العصر الحاضر ، وتكون فى هذا السبيل غنية مثل غناها فى المفردات .

وما دام أسلافنا وضعوا للسيف ألف اسم ، وللأسد خمسمائة ، وللثعبان مائتين ، فليضع « المعاصرون » أسماء للمسميات الحديثة التى وقفنا أمامها لكثرتها دهشين عاجزين ، وما دمنا قد تقدمنا فى مجال الاستعمال اللغوى والأسلوب الكتابى على الأسلاف فلنتقدم باللغة التى جمَّدها المتأخرون منذ عصور فساد اللغة وانحطاط أساليب الكتابة وجعلوها فى القداسة كالقرآن الكريم الذى لا يقبل زيادة أو نقصانا ، ولنجعل نهضتنا اللغوية صحيحة بأن نُصحبَها بنهضة أكبر من الطبع والتأليف والنشر ، وذلك باستقبال الجديد ، وإيجاد أسماء له عن طريق الوضع أو التعريب أو الاشتقاق مع المحافظة على أصل العربية وأساسها وبنائها .

إننا تقدمنا على الأسلاف فى مجال الاستعمال اللغوى والأساليب الكتابية والإنتاج العلمى والأدبى والفنى . وآية ذلك أننا لو أفردنا كل عصر من العصور الماضية وعارضناه بعصرنا هذا لوقفنا على ما يؤيد التقدم والرجحان ،

إلا أن أسلافنا القدماء يرجحون علينا فى النطق بالعربية الفصحى ، وذلك لسلامة سلائقهم وألسنتهم ، وقربهم من العصر الجاهلى وعصر صدر الإسلام وإخلاصهم للغتهم ، أما نحن فنلحن ونخطئ إذا نطقنا بالفصحى ، ولا أستثنى أحداً من المعاصرين .

فى هذا وحده يرجح الأسلاف على المعاصرين ، وسبب ذلك فساد السلائق ، واعتياد اللسان اللحن والخطأ ، والبعد عن الإعراب ، وقوة العامية الغلابة التى هزمت الفصحى لقلة أنصارها وضعف أبنائها .

* * *

واهتمام أبناء العربية بلغتهم قديم منذ العصر الجاهلى ، إلا أن اهتمامهم بها صار عظيما بمجيء الإسلام ، ففى عصر النبوة أخذ الناس يهتمون بالعربية كثيراً ، ويحرصون عليها لأنها لغة القرآن والدين الجديد والرسول الصادق الأمين .

ويظن كثير من الناس أن العرب القـــدماء كانوا يعرفون معنى كل كلمة عربية يسمعونها ، وهذا وهم ، فلم يكن أى فرد فى أى عصر من العصور واقفاً على معنى كل كلمة يسمعها باستثناء أفصح العرب محمد عليه السلام ، بل كانت معانى كثير من الكلمات مغلقة مما حمل الناس على أن يسأل بعضهم بعضا ليقفوا على معنى ما استبهم عليهم .

وكان هذا ظاهراً عند ما جاء الإسلام .

وفى وسعنا أن نعد هذه الحركة التى بدأت بقوة بعد ظهور الإسلام بداءة « المعجم » العربى .

ولئن كان المعجم مُدَوَّنَة تلتقى فيها مفردات اللغة ومعانيها فإن هذه الحركة التى قويت بعد الإسلام لا تعدو أن تكون معجماً ، والفارق بينهما التدوين ، بل كان فى العصر الأول للإسلام بعض التدوين لكلمات القرآن اللغوية ومعانيها ، مع الإشارة إلى نظائرها من كلام العرب .

سمع على بن أبي طالب كرم الله وجهه محمداً صلى الله عليه وسلم يخاطب

وفد بنى نهد فقال له : « يا رسول الله ، نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم العرب بما لا نفهم أكثره » . وكان رسول الله يوضح لهم ما يسألونه عنه مما لا يعرفون معناه من تلك الكلمات .

وهذه الحادثة ذات دلالة قوية على أن اللغة العربية ذات المفردات التى لا عداد لها لم تكن كلها واضحة المعنى فى أذهان العرب ، فإذا كان على بن أبي طالب الذى يعد من أعظم البلغاء الواقفين على أسرار العربية والراسخين فيها والمالكين منها ثروة عظيمة ضخمة كما تدل خطبه وكلماته ورسائله يقول للرسول : « نراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره » .

وقد سئل عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ما الأبُّ ؟ فلم يعرف معناه ، وعمر من الفصحاء البلغاء .

وإذا كان هذا العصر لا يعرف « المعجم » كما نعرفه فإن حاجة العرب إليه لم تكن قليلة ، فنحن كما نسأل المعجم ونرجع إليه فإنهم كانوا يرجعون إلى أهل العلم الذين يؤدون عمل المعاجم .

ثم إن تفسير القرآن وشرح غريب الحديث فى عصر النبوة وعصر الراشدين يظهران لنا بوضوح أن المعجم العربى كان موجوداً ، ولكنه غير مرتب ترتيب المعاجم المعروفة .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : « الشعر ديوان العرب ، فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله رجعنا إلى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه» .

وسأله نافع بن الأزرق وصاحبه نجدة بن عويمر مسائل كثيرة فى التفسير ، واشترطا عليه أن يؤيد كل كلمة بشاهد من كلام العرب ، فكان عند شرطهم(١) .

وصنيع ابن عباس رضى الله عنهما صنيع معجمى ، فهو قد وقف على لغات العرب ودلالات مفرداتها ، وأعانه علمه بذلك أن يفسر للناس معانى الألفاظ تفسيراً لغوياً .

---

(١) الإتقان للسيوطى .

وكان حرص الناس على اللغة عظيما والتفاخر بإجادتها كبيراً ، حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يفتخر بأنه أفصح العرب ، ولد فى قريش ، واسترضع فى بنى سعد .

واشتد حرص كثير منهم على العربية أكثر عند ما اختلط العرب بالعجم ، واختلف الأعاجم إلى بلاد العرب ، وفسدت العربية ، وما زالت تفسد كلما ازداد اختلاط الأمم غير العربيـــة بالعرب نتيجة الفتح الإسلامى حتى فسدت لغة المدن ، وسقط الأخذ عن أهلها والاحتجاج بكلامهم ، واضطر المعنيون باللغة أن ينتقلوا إلى البادية لتلقى العربية من أبنائها الأصلاء الذين احتفظوا بسلامة ألسنتهم من اللحن أو العجمة ، ولهذا رأينا علماء اللغة أو المشتغلين بها أمثال يونس بن حبيب الضبى(١) ، وخلف الأحمر(٢) ، والخليل ابن أحمد(٣) ، وأبى زيد الأنصارى(٤) ، والأصمعى(٥) ، والنضر بن شميل(٦) ، والكسائى(٧) ، وابن دريد(٨) ، والأزهرى(٩) ، والجوهرى(١٠) وغيرهم يختلفون إلى البادية طلباً للفصحى .

وبلغ احتفال هؤلاء وغيرهم باللغة أنهم كانوا يحتفلون بالأعراب ، ويقدرون الفصحاء منهم حق القدر ، ويأخذون اللغة منهم ، ويؤدونها للناس فى أمانة ، ومن أقطاب هؤلاء الفصحاء كما روى ابن النديم فى الفهرست : الخثعمى ، وأبو خيرة العدوى ، وأبو الدقيش — وكان من أفصح العرب — وأبو مهدية الأعرابى. وأبو المنتجع ، وأبو البيداء الرياحى ، وأبو طفيلة ، وأبو حياة بن لقيط ، والفقعسى محمد بن عبد الملك ، وعبد الله بن عمرو بن أبى صبح ، وأبو مالك عمرو بن كركرة الأعرابى اللغوى صاحب النوادر ، وأبو الجاموس ثور بن يزيد ، وأبو سوّار الغنوى ، وأبو زياد الكلابى ، وأبو عرار العجلى ، وأبو

(١) توفى سنة ١٨٣ (٢) توفى سنة ١٨٠ (٣) توفى سنة ١٧٥
(٤) توفى سنة ٢١٥ (٥) توفى سنة ٢١٥ (٦) توفى سنة ٢٠٤
(٧) توفى سنة ١٨٩ (٨) توفى سنة ١٨٢ (٩) توفى سنة ٣٢١
(١٠) توفى سنة ٣٧٠

ثوابة الأسدى ، وأبو ضمضم الكلابى ، وعمرو بن عامر البهدلى الذى أخذ عنه الأصمعى ، وأبو شبل العقيلى ، وأبو ثروان العكلى ، وأبو فقعس ، وأبو دثار ، وأبو الجراح – وهؤلاء الأربعة هم الذين حكموا بين سيبويه والكسائى – وأبو العميثل ، وعوسجة ، وأبو مُسْهِر الأعرابى ، وأبو المضرحى ، والحرمازى ، وأبو الهيثم ، وأبو المجيب الربعى ، وأبو صاعد الكلابى ، وأبو الصعق العدوى ، والمفضل العنبرى ، ويزيد بن كثوة ، وناهض بن ثومة الكلابى ، وأبو السمح الطائى ، وغيرهم .

وسبب احتفال العلماء بهؤلاء الفصحاء من الأعراب حرصهم على الفصحى ، وعلمهم أن سلائق هولاء الأعراب ما زالت سليمة ، وألسنتهم قويمة ، ولهذا كانوا يقدرونهم ويكبرونهم ويأخذون منهم اللغة ويسألونهم عن كثير مما يعينهم على بناء القواعد أو تصحيح الكلمات الخاطئة الملحونة .

وكان اتصال هؤلاء العلماء المعنيين باللغة والغُيُر عليها بهؤلاء الأعراب الفصحاء خير وسيلة لحفظ كيان الفصحى سليما قوياً ، فهم قد رأوا اللحن الفاحش والخطأ المعيب يتدسسان إلى لغتهم الكريمة فاندفعوا بقوة إلى محاربة اللحن وتلقِّى الصحيح من أهله وتدوينه ليرث مَن بعدهم التراث اللغوى كما خلفه أصحابه الأصلاء الفصحاء .

وكان من تشدُّد بعض العلماء ذوى الغيرة الشديدة على العربية أنهم منعوا استعمال كلمات فصيحة لم يطلعوا على مَصادِقها من كلام العرب فظنوا أنها ملحونة فأنكروها ، فالأصمعى – رحمه الله – خطَّأ من قال : شتان ما بينهما ، وذكر أن الصحيح : شتان ما هما ، وتابعه الأزهرى والجوهرى ، مع أن ما منعه هؤلاء الأعلام ورد فى الشعر الفصيح ، مما يدل على أنهم لم يطلعوا عليه ، ودفعهم إخلاصهم للغة وإسرافهم فى هذا الإخلاص أن يخطئوا من يقول : شتان ما بينهما ، ولو اطلعوا لما منعوا وأنكروا(١) .

---

(١) انظر صفحة ١١٢ ج ١ من هذا الكتاب .

وخطّأ الجوهرى وكثير من العلماء من يقول : « مستأهل» بمعنى مستحق وأهل ، وتابعتهم فى ذلك وحملت كثيراً من الكتاب والعلماء أن يتركوه ويستبدلوا به كلمة « أهل » مع أن فصحاء العرب تكلموا به ، ولكنى لم أقف على هذا إلا أخيراً ، فقد قرأت فى « تهذيب اللغة » للأزهرى(١) : أنه سمع من أعرابى فصيح من بنى أسد « استأهل» وحضر ذلك جماعة من الأعراب فما أنكروا قوله(٢)

وهذا التشدد فى المنع والإنكار رغبة فى الصواب وتحريا للحق يقيم الدليل على أن هؤلاء العلماء الأعلام كانوا يقومون بحركة واسعة لتنقية الفصحى ، وحملة قوية من أجل « التطهير » وكانوا يبالغون فى التحرج حتى منعوا — فى بعض الأحيان — كلمات فصيحة لم تصل إليهم مصادقُها من الفصيح ، بل دفعتهم مبالغتهم فى تحرِّى الصواب والحق ألا يعتمدوا إلا ما صح عندهم ، أما إذا شكوا فى كلمة فانهم يشيرون إلى من تلقَّوْها عنه أو رواها لهم أو وجدوها فى فى كتابه .

قال الأزهرى فى مقدمة كتابه تهذيب اللغة : « لم أودع كتابى هذا إلا ما صح لى سماعاً منهم(٣) ، أو رواية عنهم ، أو حكاية عن خط ذى معرفة ثاقبة اقترنت إليها معرفتى ، اللهم إلا حروفاً وجدتها لابن دريد وابن المظفر فى كتابيهما ، فبيَّنْتُ شكى فيها ، وارتيابى بها » .

وهكذا كان هؤلاء القائمون بحركة تنقية اللغة لا يفترون من النقد والتمحيص ، وتنبيه الناس إلى الخطأ حتى يجتنبوه ، وردِّهم إلى الصواب حتى يلتزموه ، وأشاروا فى كتبهم إلى ذلك ، كما ألف بعضهم رسائل أقدمها رسالة منسوبة إلى الكسائى اسمها « ما تلحن فيه العامة » .

وكانوا يعتدُّون هذا العمل أمراً دينياً ؛ ويذكرون قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه عند ما لحن أحدهم بحضرته : « أرشدوا أخاكم فقد ضل » .

(١) مخطوطة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت فى المدينة المنورة .

(٢) انظر صفحة ٦٢٩ ج ٢ من هذا الكتاب . (٣) أى من العرب .

وما زالت هذه الحركة قائمة حتى الآن ، ولكن لم توفق للقضاء على اللحن وتنقية الفصحى ، لأن العامية صارت لغة التخاطب ، وشاركت الفصحى فى التعبير عن تجارب الشعور ، وزوَتْها فى حدود ضيقة ، ولأن السلائق فسدت فساداً تاماً ، ومع هذا فإنها لم تفقد النفع ، فقد كانت صُوًى تهدى إلى الطريق ، وليس من الحتم على الناس جميعاً أن يبصروا الصوى ويهتدوا إلى ذلك الطريق .

* * *

هذه اللغة الكريمة التى حرص عليها أسلافنا الأقدمون حرصاً بالغاً فى روايتها وتحقيقها ، وإحصاء مفرداتها ، وترتيب قواعدها ، واستقصاء أصولها ، واستيعاب الشواهد عليها ، وضبط كلماتها ، وبيان الفروق اللغوية بين مترادفاتها ، وتأديتها إلينا فى سياج منيع من الصون والعناية .

هذه اللغة الكريمة ظفرت بأبناء بررة من أئمتها الثقات الأثبات وقفوا جهودهم المثمرة الناضجة على العناية بها ، واتجهوا اتجاهاً قوياً إلى رعايتها وحفظها وتنقيتها ، وكان ذلك منذ عصر الجاهلية ، إلا أن العناية ازدادت والرعاية عظمت بمجىء الإسلام ، لأن محمداً عليه الصلاة والسلام عند ما جاء بالإسلام كان دينه القيمُ الحق مؤيِّداً العربيةَ ورافعاً مكانتها وشأنها إلى أعلى الذرى ، وصارت هذه اللغة وسيلة من وسائل العبادة ، وسبيلا يفضى إلى العلم بالدين ، فالصلاة — وهى عماد الدين وعموده — لا تتم إلا بالقرآن الكريم ، ولا تصح إلا إذا تُليَت السور بالعربية كما أنزلت من الله .

وكانت العناية الأولى باللغة استجابة إلى ما توجبه المحافظة على القرآن الكريم وتفهُّم معانيه من حفظ مادته اللغوية وما ترمى إليه من صحيح المعنى ودقيق الدلالة والمغزى .

ثم نجد بعد هذا أن العربية ليست سبيل العلم بالدين وحده ، بل نجدها سبيلا إلى المعارف الإنسانية كلها ، ومظهراً من مظاهر الحضارة والمدنية ، وأداة للتعبير عن تجارب الشعور والخواطر والآراء .

وأولئك الأبناء البررة من أئمة اللغة الأثبات الثقات وهبوا أنفسهم لخدمتها ، ويسَّروا للناس طرق تعلمها ومدارستها ، وحفظوا موادّها وأصولها بقدر ما يتسع له الجهد الإنسانى والطاقة البشرية ، وزوّدونا بثروة لغوية ضخمة ، تلك الثروة التى يرجع الفضل فى جمعها وحفظها وحراستها إلى أولئك الأئمة الأجلاء الذين قدموا للناطقين بالضاد ما لم يقدم أحد مثلهم فى لغة من اللغات ، وخدموا العربية خدمة غنية بالمراجع فى كل ما يتصل بها ، سواء أكان متصلا بالمعاجم التى حفلت بعشرات الألوف من المواد ، أو متصلا بالكلمات فى سمط التعبير حتى يظهرَ السياق معناها بدقة ، ويحدد صورته فى الذهن ، أو إحصاء المفردات ، أو ترتيب القواعد ، واستقصاء الشواهد والنصوص والأصول ، أو ضبط النطق .

ومن حسن حظ اللغة العربية أن ينظر إليها أبناؤها العلماء الأعلام من مختلف الزوايا ، ويتناولوها من جميع الوجوه التى تُتَناول منها لغة حية ذات مقام كبير ، ولهذا رأينا من يؤلف فى بيان مفردات منها لا تجمعها وشيجة ، ولا تلمّها أرومة ، إن هى إلا تفسيرات من وحى الساعة وعفو الخاطر ، وشروح لألفاظ تتقارب معانيها تارة وتتباين أخرى ، ورأينا من يؤلف حسب استعمال الكلمة فى سياق الجملة ليقف القارئ أو السامع على الجو الذى تتنفس فيه الكلمة ، أو يؤلف حسب المعانى التى تؤديها ألفاظ اللغة ، أو يؤلف فى النوادر أو الغريب ، ورأينا من وضعوا المعاجم اللغوية ، وهؤلاء أعلى الأئمة مقاماً فى خدمة اللغة وأعظمهم اضطلاعا بالأمانة العلمية وأكثرهم استيعاباً لكلام العرب وفهماً لمعانيه ، ووقوفاً على أسراره وفُصَحِه ونوادره وغريبه ، وتُعَدّ مؤلفاتهم « دائرة معارف » عامة للحياة العربية من الناحية العقلية والاجتماعية والخلُقية والنفسية وغيرها من النواحى ، ويختلف بعض هذه « الدوائر » عن بعض فى الحفول والسعة .

وأشهر هؤلاء الأئمة بلا منازع الإمام « الخليل بن أحمد » الذى يُعزَى إليه

وضع كتاب العين ، على اختلاف الرواة فى « ماهية » هذه النسبة إليه .

ويُعَدُّ الخليل أول مؤلف جمع اللغة ، وهو فاتح هذا الميدان لمن جاء بعده فسلك بعضهم طريقه فى ترتيب معجمه الذى رتبه على مخارج الحروف ، وطريقة الخليل فى معجمه مُجْهِدَة وإن كان له فضل « الأولية » والسبق فى ميدان تأليف المعاجم .

وجاء ابن دريد بعد الخليل فألف كتاب « الجمهرة » نسجه على منوال كتاب العين. ثم ألفت كتب كثيرة فى اللغة منها المطوّل والمختصر ، ومنها العام فى أنواع اللغة ، ومنها الخاص . ومن تلك الكتب : الأجناس للأصمعى ، والنوادر واللغات لأبى زيد الأنصارى ، والنوادر واللغات للفراء ، والتذكرة لأبى على الفارسى ، والتهذيب للأزهرى ، والمجمل والمقاييس لابن فارس ، وديوان الأدب للفارابى ، والمحيط للصاحب ابن عباد وغير ذلك مما لا مجال لذكره فى هذه الكلمة التى كتبت مقدمة لا تتسع لأكثر من هذا .

إلا أن الحق يحملنا على أن نقول : إذا كان الخليل أول من ألَّف معجما فى اللغة العربية ومهَّد السبيل لمن بعده ، فإن الشيخ الجليل أبا نصر إسماعيل ابن حماد الجوهرى صاحب « تاج اللغة وصحاح العربية » المعروف بالصحاح يليه فى هذه الشهرة ، ويفضله فى أن صحاح الجوهرى خير من كتاب العين من ناحية الترتيب وسهولة الانتفاع به وحسن المأخذ ولين القياد ، بخلاف « العين » الذى لا يُروَدُ صعبُه إلا لعالم متمكن فى اللغة عارف طرق البحث فى المعاجم التى تشبه العين للخليل والجمهرة لابن دريد والتهذيب للأزهرى .

بل إن الجوهرى يُعَدُّ أول من وجَّه تأليف المعجم العربى هذه الوجهة الحسنة السهلة ، وحمل من بعده أن يسيروا على منهجه ويتركوا طريقة الخليل حتى ظهر من أئمة اللغة من اختطوا طريقة ترتيب المواد حسب التهجى المعروف .

الجوهرى :

قال ياقوت : « كان الجوهرى هذا من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما ،

وأصله من بلاد الترك من فاراب ، وهو إمام فى علم اللغة والأدب ، وخطه يضرب به المثل فى الجودة ، لا يكاد يفرق بينه وبين خط أبى عبد الله بن مقلة ، وهو مع ذلك من فرسان الكلام والأصول ، وكان يؤثر السفر على الحضر ، ويطوف الآفاق ، واستوطن الغربة على ساق » .

شد الجوهرى رحاله إلى العراق ، وهو يومئذ يموج بالعلماء والشيوخ فقرأ علم العربية على شيخين عظيمين من شيوخ العربية ، هما : أبو على الفارسى (٢٨٨ – ٣٥٦) وأبو سعيد السيرافى (٢٨٤ – ٣٦٨) وأحب أن يستزيد من العلم فشدّ رحاله مرة أخرى إلى الحجاز ، وشافه العرب العاربة فى ديارهم بالبادية ، كما ذكر ذلك فى مقدمة الصحاح . وطوّف أيضاً ببلاد ربيعة ومضر ، ولما انتهى من ذلك قفل راجعاً إلى خراسان وتطرق الدامغان(١) فأنزله أبو على الحسن بن على – وهو من أعيان الكتاب – عنده ، وأخذ عنه وسمع منه ، ثم سرّحه إلى نيسابور ، فلم يزل مقيما بها على التدريس والتأليف وتعليم الخط وكتابة المصاحف والدفاتر حتى مضى لسبيله عن آثار جميلة تسلكه فى عداد من خدموا العلم واللغة .

أين ألّف الصحاح :

وفى نيسابور التقى بالأستاذ أبى منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكى(٢) فصنف له كتاب « الصحاح » وسمعه البيشكى منه إلى باب الضاد المعجمة .

ضبط اسم الصحاح :

اختلف بعض العلماء فى ضبط « الصحاح » أهو بكسر الصاد أو فتحها ؟

---

(١) الدامغان : بلد كبير بين الرى ونيسابور .

(٢) كان أديباً واعظاً أصولياً ، من أصحاب أبى عبد الله الحاكم بن عبد الله ، ابن البيع ، له المدرسة والأصحاب ، والأوقاف والأسباب ، والتدريس والمناظرة ، والنظم والنثر . توفى فى جمادى الأولى سنة ٤٥٣ . معجم الأدباء (٦ : ١٦٣) ، وبيشك بكسر الباء : قصبة كورة رخ من نواحى نيسابور .

ولم يرد عن المؤلف ضبطه ، فهو قابل لأن ينطَق بالكسر أو الفتح ، ولا لوم على الناطق بأحدهما ، والمشهور الكسر .

جاء فى المزهر عن أبى زكريا الخطيب التبريزى : يقال : بكسر الصاد وهو المشهور ، وهو جمع صحيح كظريف وظراف . ويقال : بالفتح نعت مفرد مثل صحيح ، وقد جاء فعال بفتح الفاء لغة فى فعيل كصحيح وصحاح ، وشحيح وشَحاح ، وبرىء وبَراء .

قال الإمام المحقق ابن الطيب مامعناه : «حيث لم يرد عن المؤلف فى تخصيص أحدهما بالسند الصحيح ما يصار إليه ولا يعدل عنه ، فكلا الضبطين صحيح خلافاً لمن أنكر الفتح ولمن رجحه على الكسر » .

وفاة الجوهرى :

اعترت الجوهرى وسوسة فمضى إلى الجامع القديم بنيسابور ، وصعد إلى سطحه يحاول محاولة أن يسبق بها الزمن ، وهى محاولة الطيران ، ويروى الرواة أنه قال بعد أن صعد السطح : « أيها الناس ، إنى عملت فى الدنيا شيئاً لم أسبق إليه[1] فسأعمل للآخرة أمراً لم أسبق إليه » وضم إلى جنبيه مصراعى باب وتأبَّطهما بحبل ، وزعم أنه يطير فألقى بنفسه من أعلى مكان بالجامع فمات .

المعاجم المعاصرة للصحاح :

ألف الجوهرى معجمه فى عصر نشط فيه التأليف اللغوى الواسع نشاطاً عظيما ، وتبارى فى ميدانه الأئمة الأعلام فى العربية ، فصنفوا معاجم كثيرة ضخمة واسعة تفرد كل منها ببعض الخصائص والسمات ، ومن هؤلاء الأعلام :

١ — ابن دريد (٢٣١ — ٣٢١) الذى ورتبه كتاب « الجمهرة[2] » ألفه

(١) يشير بذلك إلى كتابه الصحاح وما ابتدع من نظام فى تأليفه .

(٢) طبع الجمهرة فى الهند بعناية محمد بن يوسف السورتى والمستشرق الألمانى فريتس كرنكو ، ووقع فى أربعة مجلدات ، ثلاثة منها أصل الكتاب ، والرابع فهرس عام للمواد اللغوية مرتبة حسب التهجى الحديث ، وأصبح الجمهرة بهذا الفهرس معجماً حياً يفيد منه كل مطلع عليه حتى الشداة ، ولولاه لكان معجماً صعباً مغلقاً .

لأبي العباس إسماعيل بن عبد الله الميكالي ، ورتبه على طريقة الخليل .

٢ — أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (٠٠٠ — ٣٥٠)(١) وهو خال الجوهري ، ألف كتابه الكبير « ديوان الأدب(٢) » لأتسر بن خوازرم شاه ، وهو على خمسة أقسام : الأول في الأسماء ، والثاني في الأفعال ، والثالث في الحروف ، والرابع في تصرف الأسماء ، والخامس في تصرف الأفعال ، وقد عرفه بقوله : « ميزان اللغة ومعيار الكلام » .

٣ — أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري (٢٨٢ — ٣٧٠) الذي ألف معجمه الكبير « تهذيب اللغة »(٣) .

٤ — الصاحب إسماعيل بن عباد أبو القاسم (٠٠٠ — ٣٨٥) مؤلف كتاب « المحيط(٤) » كثّر فيه الألفاظ ، وقلّل الشواهد ، فاشتمل من اللغة على كثير من المواد ، وهو مرتب على الحروف ، وقد نسخه ياقوت الرومي بالأجرة في سبعة مجلدات ، استنسخه إياها تاج الدين بن حَمْدون كاتب السكة(٥) ببغداد ، وكانت خزانة كتبه حمل أربعمائة جمل ، وتوفي بالرَّيّ وحمل إلى أصبهان .

٥ — أبو الحسين أحمد بن فارس (٠٠٠ — ٣٩٥) الذي ألف معجمين

---

(١) وقيل : توفي سنة ٣٣٢ هـ

(٢) توجد نسخة من هذا الكتاب بمكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة ، وهي مخطوطة جيدة .

(٣) تهذيب اللغة : من هذا الكتاب في مكتبات العالم سبع عشرة نسخة : نسخة بالمكتبة الأحمدية بحلب ، وثانية بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت ، وثلاث بدار الكتب المصرية ، واثنتا عشرة نسخة بتركيا ، إلا أن نسخة المدينة تفضلها جميعاً فهي أقدمها وخيرها في جمال الخط وضبط الشكل والسلامة من التحريف والتصحيف والخرم ، ونسخ دار الكتب ناقصة وكلها لا تكمل نسخة ، ونسخة الأحمدية لا بأس بها ، وأربع نسخ من الاثنتي عشرة نسخة التي بتركيا يوثق بها ، وما عدا الأربعة سقيم ، أما النسخة المدنية فممتازة وصحيحة ، وهي بخط ياقوت الرومي ، كتبها سنة ٦١٦ هـ وما عداها كتب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري إلا نسخ دار الكتب فتاريخها قبل ذلك ، ولكنها ناقصة .

(٤) منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٢٤ لغة ، مودعة بقاعة المعرض .

(٥) السكة : الدراهم والدنانير المضروبة .

يُعَدّان من طرائف المعاجم العربية وهما : المجمل ومقاييس اللغة[1] ، وابن فارس من أصحاب الثقافات الضخمة ذات النواحي الكثيرة ، فهو أديب واسع الاطلاع ، فقيه ، متكلم ، نحوى ، أما فى اللغة فكان بحراً ، وكان فى عصره محتجًّا به فى كثير من العلوم والفنون غير منازع ، منجبا فى التعليم ، ومن تلاميذه بديع الزمان الهمذانى وغيره .

* * *

فى هذا العصر الذى اشتدت فيه العناية اللغوية ، والذى زخر بأئمة اللغة الذين حرصوا على جمع اللغة وضبطها وتحديد معانى كلماتها ألف الجوهرى كتابه « الصحاح » فكان سابقاً غيره من اللغويين فى شق طريق جديد ابتكره ابتكاراً وقد أشار – هو نفسه – إلى ذلك فى مقدمة كتابه فقال : « أما بعد ، فإنى قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندى من هذه اللغة التى شرف الله منزلتها ، وجعل عِلْم الدين والدنيا منوطاً بمعرفتها ، على ترتيب لم أسبق إليه ، وتهذيب لم أغلب عليه فى ثمانية وعشرين باباً ، وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلا ، على عدد حروف المعجم وترتيبها ، إلا أن يهمل من الأبواب جنس من الفصول ، بعد تحصيلها بالعراق رواية ، وإتقانها دراية ، ومشافهتى بها العرب العاربة فى ديارهم بالبادية ، ولم آل فى ذلك نصحاً ، ولا ادخرت وسعاً .

لقد ذكر أبو نصر أنه ابتدع هذا النظام الجديد فى وضع المعاجم ، وهو حق ، وهذا النظام هو الذى جعل للصحاح منزلة خاصة بين المعاجم المعاصرة له ، وجعل الصحاح نفسه يمضى فى الشهرة قدما ، ومهّد له الطريق حتى كثُر تداوله واعتماد الناس عليه ، هذا إلى ما أخذ به الجوهرى نفسه به من إيراد ما صح من اللغات .

---

(١) طبع من المجمل الجزء الأول ، أما المقاييس فقد طبع كله محققاً فى ست مجلدات بقلم أخى وزميلى فى تحقيق هذا الكتاب ، العلامة الجليل الأستاذ عبد السلام محمد هارون .

قدر الصحاح :

لم يخدم معجم عربى مثل صحاح الجوهرى ، فقد تناوله كثير من العلماء وأئمة اللغة باهتمام بالغ عظيم ، وقدروه حق قدره ، فاختصره بعضهم ، وزعم بعضهم تهذيبه ، ونقده بعضهم ، ودافع عنه كثير ، واهتدى بهديه حشد حاشد من العلماء ، وكان دافعاً بعض المعنيين باللغة إلى تأليف معاجم قيمة ، كما كان مثار بحث ونقاش بين عديد من العلماء .

وكان تأليف الجوهرى صحاحه خطوة جديدة موفقة فى تأليف المعاجم العربية ، وفتحاً جديداً فى عالمها ، ولو أن مؤلفى المعاجم سلكوا سبيل الخليل وابن دريد والأزهرى ثم ابن سيده لكانت المعاجم العربية عذراء لا يفتضُّها إلا الراسخون فى العلم الذين يُعَدُّون على الأصابع ، ومن هنا تظهر قيمة الجوهرى الذى ابتكر طريقة جديدة لم يسبق إليها ، طريقة أرودت الصعب ، وأسلست قياد العاصى الحرون ، وسهلت البحث للشداة ، وزوَّدت الكبار بثروة لغوية تقدَّرُ بأربعين ألف مادة .

ومن يوم ألَّف الصحاح وهو واسع الخطى فى سيره ، يطوى الأرض من بلد إلى بلد حتى ظفر بإعجاب الأدباء والعلماء ، بل ظفر بإعجاب بعض خصومه ومنافسيه ، وعلى سبيل المثال — لا الحصر — نشير إلى بعض هذا القدر والإعجاب :

قال الثعالبى فى اليتيمة(1) :

« وله كتاب الصحاح فى اللغة ، وهو أحسن من « الجمهرة » وأوقع من « تهذيب اللغة » وأقرب متناولا من « مجمل اللغة » وفيه يقول أبو محمد إسماعيل ابن محمد النيسابورى ، وعنده الكتاب بخط مؤلفه :

هذا كتاب الصحاح سيِّد ما ... صنِّف قبل الصحاح فى الأدب
يشمل أنواعه ويجمع ما ... فُرِّقَ فى غيره من الكتب

---

(1) يتيمة الدهر (4 : 289) .

وقال الباخـَرْزى صاحب الدمية(١) :

« وهذا الكتاب هو الذى بأيدى الناس اليوم ، وعليه اعتمادهم ، أحسن تصنيفه ، وجوَّد تأليفه ، وقرَّب متناوله ، وأبـَرَّ(٢) من ترتيبه على من تقدمه ، يدل وضعه على قريحة سالمة ، ونفس عالمة ، فهو أحسن من الجمهرة ، وأوقع من تهذيب اللغة ، وأقرب متناولا من مجمل اللغة ، هذا مع تصحيف فيه فى مواضع عدة أخذها عليه المحققون ، وتتبعها العالمون ، ومن ما ساء قط ، ومن له الحسنى فقط ، فإنه رحمه الله غلط وأصاب ، وأخطأ المرمى وأصاب ، كسائر العلماء الذين تقدموه ، أو تأخروا عنه ، فإنى لا أعلم كتاباً سُلِّمَ إلى مؤلفه فيه ، ولم يتبعه بالتتبع من يليه » .

ويقول القفطى(٣) :

« وله كتاب الصحاح فى اللغة ، أكبر وأقرب متناولا من مجمل اللغة . . . وهذا كتاب الصحاح قد سار فى الآفاق ، وبلغ مبلغ الرفاق ، ولما دخلتْ منه نسخة إلى مصر نظرها العلماء فاستجودوا مأخذها وقربه ، ولحوا فيها أوهاما كثيرة انتدبوا لإصلاحها ، وزادوا فيها بعض ما لعله أخلَّ به من ألفاظ لغوية الحاجةُ داعية إليها ، فلا شبهة فى أنه نقلها من صحف فصحَّف ، وانفرد فى تصريف الكلمة برأيه فحرَّف » .

ثم قال :

« ومن العجب أن أهل مصر يروُون كتاب الصحاح عن ابن القطاع الصقلى متصل الطريق إلى الجوهرى ، ولا يرويه أحد من أهل خراسان . وقد قيل : إن ابن القطاع لما دخل مصر سئل عن الكتاب ، فقال : ما وصل إلينا إلى المغرب ، ولما رأى رغبة المصريين فيه ، وكثرة اشتغالهم به ركب عليه طريقاً ورواه لهم » .

(١) الدمية (ترجمة الجوهرى) . وانظر معجم الأدباء (٦ : ١٥٥) .

(٢) أبر : غلب وزاد . وفى الأصل : « آثر » .

(٣) إنباه الرواة (١ : ١٩٥) .

ورواه ابن القطاع – وهو أبو القاسم على بن جعفر بن على السعدى – عن الشيخ أبى بكر محمد على بن الحسين بن البر التميمى عن محمد إسماعيل ابن محمد النيسابورى عن الشيخ أبى نصر بن حماد الجوهرى .

ويقول التبريزى[1] :

« وكتاب الصحاح هذا حسن الترتيب[2] ، سهل المطالب لما يراد منه ، وقد أتى بأشياء حسنة ، وتفاسير مشكلات من اللغة ، إلا أنه مع ذلك فيه تصحيف لا يُشَكُّ فى أنه من المصنِّف لا من الناسخ ، لأن الكتاب مبنى على الحروف ، ولا تخلو هذه الكتب الكبار من سهو يقع فيها أو غلط ، غير أن القليل منه إلى جنب الكثير الذى اجتهدوا فيه ، وأتعبوا أنفسهم فى تصحيحه معفوٌّ عنه » .

وقال ابن منظور مؤلف « لسان العرب » فى مقدمة معجمه الكبير :

« ولم أجد فى كتب اللغة أجمل من « تهذيب اللغة » لأبى منصور محمد ابن أحمد الأزهرى ، ولا أكمل من « المحكم » لأبى الحسن بن إسماعيل بن سيده الأندلسى – رحمهما الله – وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق ، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيَّات الطريق ، غير أن كلا منهما مطلب عسر المهلك ، ومنهل وعر المسلك ، وكأنّ واضعه شرع للناس موردا عذباً وحلّأهم عنه ، وارتاد لهم مرعى مريعاً ومنعهم منه ، قد أخر وقدم ، وقصد أن يعرب فأعجم ، فرّق

---

(١) كشف الظنون فى رسم الصحاح .

(٢) أشار بعضهم إلى طريقة البحث فى الصحاح نظما فقال :

إذا رمت كشفا فى الصحاح للفظة ... فآخرها للباب والبدء للفصل
ولا تعتمد فى بدئها وأخيرها ... مزيدا ولكن اعتمادك للأصل

وقال آخر :

إن شئت كشفا إلى تحقيق مسألة ... من الصحاح فلا يعوزك إسهاب
فالفصل خذه مضافاً نحو أوله ... ونحو آخره فليعنك الباب

الذهن بين الثنائى والمضاعف والمقلوب ، وبدّد الفكر باللفيف والمعتلّ والرباعى والخماسى فضاع المطلوب ، فأهمل الناس أمرهما ، وانصرفوا عنهما ، وكادت البلاد — لعدم الإقبال عليهما — أن تخلو منهما ، وليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب وتخليط التفصيل والتبويب ، ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى قد أحسن ترتيب مختصره ، وشهره بسهولة وضعه ، فخفّ على الناس أمره فتناولوه ، وقربُ عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه » .

وقال السيوطى(1) : بعد أن سرد طائفة من كتب اللغة المشهورة : « وغالب هذه الكتب لم يلتزم فيها مؤلفوها الصحيح بل جمعوا فيها ما صح وغيره ، وينبهون على ما لم يثبت غالباً . وأول من التزم الصحيح مقتصراً عليه الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى ، ولهذا سمّى كتابه الصحاح » .

ثم قال : « وكان فى عصر صاحب الصحاح ابنُ فارس ، فالتزم أن يذكر فى مجمله الصحيح . قال فى أوله : قد ذكرنا الواضح من كلام العرب ، والصحيحَ منه دون الوحشىّ والمستنكر . وقال فى آخر المجمل : قد توخيت فيه الاختصار ، وآثرت الإيجاز ، واقتصرت على ما صح عندى سماعاً ، ومن كتاب صحيح النسب مشهور ، ولو لا توخى ما لم أشكك فيه من كلام العرب لوجدت مقالا » .

وقال صاحب القاموس وهو أحد منافسى الجوهرى وخصومه فى خطبة كتابه — :

« لما رأيت إقبال الناس على صحاح الجوهرى ، وهو جدير بذلك » . إلى أن يقول : « كتاب الجوهرى من بين الكتب اللغوية مع ما فى غالبها من الأوهام الواضحة ، والأغلاط الفاضحة ، لتداوله واشتهاره بخصوصه ، واعتماد المدرسين على نقوله ونصوصه » .

وقال ابن الطيب الفاسى محشى القاموس : وقد انتصر للجوهرى :

« إن الجوهرى خطيب المنبر الصرفى ، وإمام المحراب اللغوى » .

---

(1) المزهر (1 : 97) .

وقال أيضاً :

« إن الله قد رزق الجوهرى شهرة فاق بها كل من تقدمه ومن تأخر عنه ، ولم يصل شيء من المصنفات اللغوية فى كثرة التداول والاعتماد على ما فيه إلى ما وصل إليه كتاب الصحاح ، وإن فيه من الفوائد المهمة التى أهملها صاحب القاموس كثيراً من القواعد الصرفية والشواهد المحتاج إليها فى العلوم الشرعية والأدبية » .

وقال ابن برى : « إن الجوهرى أنحى اللغويين » .

وقال أديب الشام العلامة عبد الغنى بن إسماعيل الكنانى المقدسى :

من قال قــد بطلت صحاح الجوهرى   لما أتى القاموس فهو المفترى

قلت : اسمه القاموس ، وهو البحر إن   يفخر فمعظم فخره بالجوهر

وذلك رد على من قال :

مذْ مدَّ مجد الدين فى أيامه   من بعض أبحر علمه القاموسا

ذهبت صحاح الجوهرىِّ كأنها   سحر المدائن حين ألقى موسى

وقال آخر :

مولاى إن وافيتُ بابك طالبــاً   منك الصحاح وليس ذاك بمنكر

البحر أنت ، وهل يلام فتى أتى   للبحر كى يلقى صحاح الجوهر

وقال آخر :

نقل الأراك بأن ريقةَ ثغره   من خمرة مزجت بماء الكوثر

قد صح ما نقل الأراك لأنه   يرويه حقاً عن صحاح الجوهر

وغير هذا كثير مفرق فى الكتب ، واكتفينا بنقل ما نقلنا لنشير إلى اهتمام العلماء البالغ بصحاح الجوهرى حتى يقف القارئ على ما لقى الصحاح وصاحبه من التجلة والتكريم اللذين صاحباهما حتى الآن .

تنقيح الكتاب :

الواقع أن فى الصحاح بعض أوهام لا نشك أنها منه ، وجلَّ من لا يخطئ ،

إلا أننا نعتقد أن فيه أغلاطاً من الناسخ لا يحتمل تبعتها الجوهرى رحمه الله لأنه لا يد له فيها ، فهو لم يتولّ تنقيح كتابه كله ولا تبيض جميعه مما ترك المجال للخطأ ، ومع هذا ، فإن الله قد حفظ الصحاح إلا من وهم يسير .

يذكرون(١) أن أبا منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكى — وهو الذى وضع له الجوهرى الصحاح — سمعه منه إلى باب الضاد المعجمة ، وبقى بقية الكتاب مسوّدة غير منقّحة ولا مبيّضة ، فبيّضه بعد موته أبو إسحاق إبراهيم ابن صالح الوراق — تلميذ الجوهرى — فغلط فيه فى عدة مواضع غلطاً فاحشاً .

وذكر ياقوت أيضاً(٢) عن صاحب « ضالة الأديب ، من الصحاح والتهذيب » قال : وسألت الإمام سعيد ابن الإمام أحمد بن محمد الميدانى عن الخلل الواقع فى هذا الكتاب فقال مثل ما ذكرناه ، إن هذا الكتاب قرئ عليه إلى باب الضاد فحسب ، وبقى أكثر الكتاب على سواده ولم يُقَدَّر له تنقيحه ولا تهذيبه . . . ثم قال : ومن زعم أنه سمع من الجوهرى شيئاً من الكتاب زيادة على أول الكتاب إلى باب الضاد فهو مكذوب عليه .

أثر الصحاح فى التأليف اللغوى :

كان لظهور الصحاح بهذا الوضع الذى لم يألفه الناس من قبل ، وهو الوضع الذى مكّن لهم أن يطلعوا على اللغة فى سهولة ويسر ، أثر جليل فى إقبال العلماء على هذا الكتاب قراءة ومدارسة ، وتحقيقاً ونقداً ، وتذييلا وتعليقاً ، فأحدث بذلك آثاراً جديدة قوية فى التأليف اللغوى ، وفى وسعنا حصر أهم تلك الآثار فى ثلاث نواح هى :

١ — الشروح والتعليقات .

٢ — المختصرات .

٣ — الترجمات .

---

(١) انظر معجم الأدباء (٦ : ١٥٧) .

(٢) انظر معجم الأدباء (٦ : ١٦١) .

ونقدم فى هذه العجالة كلمة موجزة عن كل ناحية من هذه النواحى الثلاث :

١ — الشروح والتعليقات

١ — أقدم ما وصل إلينا من علم حول الشروح والتعليقات المكتوبة على الصحاح ما كتبه أبو سهل محمد بن على بن محمد الهروى نزيل مصر (٣٧٢ — ٤٣٣) ذكروا أنه نقل الصحاح من خط الجوهرى نفسه رواية عن إسماعيل ابن محمد بن عبدوس ، وقد استدرك أبو سهل بعض الاستدراك ، وبيّن بعض ما صحّفه الجوهرى ، وقد دوّن الزنجانى بعض تصحيحات الهروى ، منها ما جاء فى مادة (عفت) : « وقال الهروى : المعروف ، الأعفت ، بالتاء بنقطتين » .

٢ — ثم أبو القاسم الفضل بن محمد بن على القصانى البصرى المتوفى سنة ٤٤٤ هـ وهو من علماء البصرة الأجلاء الذين كان لهم بصر باللغة والنحو ، وله كتاب « النحو » و « الأمالى » و « الصفوة فى أشعار العرب » وكان من الأدباء العلماء ؛ وله كتاب اسمه « حواشى الصحاح » .

٣ — ثم على بن جعفر بن على ، المعروف بابن القطاع (٤٣٣ — ٥١٥) ولد فى صقلية ، ولما احتلها الفرنج انتقل إلى مصر ، فأقام بها يعلم ولد الأفضل الجمالى ، وفى أثناء ذلك روى « الصحاح » للمصريين الذين كانوا فى لهفة إلى ذلك الكتاب ، كما ذكر القفطى .

٤ — ويذكر صاحب كشف الظنون أن ابن القطاع ابتدأ فى كتابه حواش على الصحاح ثم بنى على ذلك تلميذه أبو محمد عبدالله بن برى المصرى (٤٩٩ — ٥٧٦) فصنع حواشى على الصحاح فى كتاب سماه « التنبيه والإيضاح ، عما وقع من الوهم فى كتاب الصحاح » . وهى أجود تآليفه ، ذكر فيها الأغلاط المبينة ، واستدرك فيها بعض ألفاظ واجبة الذكر ، وبعض شواهد لازمة .

٥ — ولكن ابن برى لم يكمل هذا الكتاب ، بل وصل فيه إلى مادة

(وبش) وهو ربع الكتاب وتوفى قبل إتمامه ، فأكمله من بعده الشيخ عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن البسطى ، نسبة إلى بسطة ، بالفتح ، من كورة جيان بالأندلس .

٦ — وألف تاج الدين محمود بن أبي المعالى بن الحسن الحوارى اللغوى كتابا اسمه «ضالة الأديب ، من الصحاح والتهذيب» أو «ضالة الأديب ، فى الجمع بين الصحاح والتهذيب» أخذ فيه على الجوهرى عديدا من المواضع . وقال عنه أحمد بن على البيهقى : «وكان إماما فى القراءات والأدب ، حفظ كتاب الصحاح فى اللغة عن ظهر قلب بعد ما قرأه على أبي الفضل أحمد بن محمد الميدانى ، وكتبا كثيرة» . وذكر ياقوت : أن ابن أبي المعالى أخذ الأدب عن أبي الفضل الميدانى وبرع فى اللغة ، وله النثر الفائق والشعر الرائق ، وكان واحد نيسابور علما وفضلا وأدبا ، وله مؤلفات ؛ منها : كتاب المحيط بلغات القرآن . وكان حيا سنة ٥٨٠[1] .

٧ — أبو الدر ياقوت بن عبدالله الموصلى (٠٠٠ — ٦١٨) وكان مُغْرًى بنسخ الصحاح ، فكتب منه نسخاً كثيرة ، كل نسخة فى مجلد واحد ، قال ابن خلكان : «رأيت منها عدة نسخ ، وكل نسخة تباع بمائة دينار» .

ويذكر صاحب كشف الظنون عن پير محمد بن يوسف الأنقروى أنه شاهد نسخة من صحاح الجوهرى بخط ياقوت الموصلى ذكر فى آخرها ما هذه صورته :

«يقول ياقوت : نقلت هذا الكتاب من خط الشيخ أبي سهل محمد بن على الهروى النحوى رحمه الله ، وذكر أنه نقله من خط المصنف ورواه عن إسماعيل بن محمد بن عبدوس عن المصنف ، وشاهدت بخط ابن عبدوس

---

(١) انظر معجم الأدباء طبعة مرجليوث (١ : ٤١٥ و ٢ : ١٠٨ و ٢ : ٢٧١ و ٧ : ١٥١ — ١٥٢) .

على النسخة التى نقلت منها ما هذا حكايته : قرأ علىّ الشيخ أبو سهل محمد بن على بن محمد الهروى أكثر هذا الكتاب وسمع ما فيه بلفظى بقراءتى عليه فصحّ له سماع جميعه منى ، وروايته عنى ، وذلك فى سنة ٤٢١ هـ وكتبه إسماعيل ابن محمد بن عبدوس الدهان النيسابورى . ويقول ياقوت : هذا الكتاب أرويه متصلا إلى ابن عبدوس عن المصنف ، فما صحّ فى هذه النسخة فهو فى الرواية من خطأ وصواب ، وما خالفها من زيادة أو تغيير فهو من كلام غير المصنف ، وقد استدرك أبو سهل وبين بعض ما صحّفه المصنف . قال ياقوت . وقد أثبتّ ذلك فى موضعه . ولى أيضاً مواضع قد نبهت عليها من سهو المصنف ، ومن سهو وقع فى خط أبى سهل . على أن الكتب الكبار لا تخلو من ذلك »

٨ — وألف الوزير جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى (٥٦٨ — ٦٤٦) صاحب كتاب « إنباه الرواة على أنباه النحاة » كتاباً سماه «إصلاح خلل الصحاح» ذكره ياقوت والسيوطى وابن العماد وصاحب كشف الظنون.

٩ — وألف الإمام أبو الفضائل رضى الدين الحسن بن محمد بن محمد ابن الحسن بن حيدر الصغانى (٥٧٧ — ٦٥٠) كتاباً عظيما سماه « التكملة والذيل والصلة » وهو المعروف بالتكملة ، جمع فيه ما أهمله الجوهرى من نحو ألف كتاب فى غريب القرآن والحديث واللغة والنحو وأخبار العرب وأيامهم وأشعارهم وحيوانهم وأسلحتهم وغير ذلك ، والتكملة خير ما ألّف حول الصحاح وتكملته وإصلاح خلله ، ونقد مواضع كثيرة فى الصحاح وتحقيقها ، واستدراك ما أغفله الجوهرى ، وهو أكبر حجما من الصحاح ، ويضم ستين ألف مادة ، والتكملة من أمهات كتب اللغة .

وقد فرغ المؤلف منه أمام بيت الله الحرام صبيحة يوم الجمعة وقت فتح باب بيت الله الحرام العاشر من صفر سنة خمس وثلاثين وستمائة .

والنسخة التى كتبها المؤلف رحمه الله موجودة فى إحدى مكتبات تركيا ، ومصوّرتها الفوتوغرافية بالإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، ومنه نسخة بمكتبة عارف حكمة الله فى المدينة المنورة لا يعرف كاتبها. وجاء فى آخرها أنها « نسخت من نسخة المصنف وقرئت عليه فى التاريخ المذكور » أى سنة ٦٣٥ ، وهذه المخطوطة فى مجلد واحد ، ورقمها ٤٢ لغة ، وفى خزانة كتبي مصورة فوتوغرافية لهذه المخطوطة ، وأخذت فى تحقيقها تمهيداً لنشرها وطبعها إن شاء الله .

وفى المدينة المنورة بالمكتبة المحمودية نسخة أخرى فى أربعة مجلدات ، وفى دار الكتب المصرية نسخة كتبت سنة ٦٤٢ هـ وهى فى ستة مجلدات ، وفى آخر مجلد منها ورقة فيها بيان أسماء المواد التى استمد منها المؤلف فى تأليف هذا الكتاب ، وعليها بخط السيد محمد مرتضى الزبيدى ما يفيد أنه قابل هذا الكتاب وعارضه على كتابه « تاج العروس من شرح جواهر القاموس » من أوله إلى آخره فى مجالس آخرها ثانى ربيع الأول سنة ١١٩١ هـ .

١٠ — وألف أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن الحاج الإشبيلى (··· — ٦٥١) حاشية على الصحاح .

١١ — وكذلك صنع رضى الدين محمد بن على الشاطبى (٦٠١ — ٦٧٤).

١٢— وألف خليل بن أيبك الصفدى (٦٩٦ — ٧٦٤) كتابين : أحدهما « نفوذ السهم ، فيما وقع للجوهرى من الوهم » بدأه بقوله : « الحمد لله الذى تنزه علمه من الغلط إلخ » وقال فى آخره : « وتم تأليفه فى رمضان سنة ٧٥٧ » وقد قلد الصفدى فى كتابه هذا ابن برى ، فهو لم يأت بجديد من عنده إلا بعض أدبيات ، والاستدلال ببعض الأبيات . والثانى « حلى النواهد ، على ما فى الصحاح من الشواهد » .

١٣ — وممن علق عليه من المتأخرين الإمام جلال الدين عبد الرحمن ابن أبى بكر بن محمد السيوطى (٨٤٩ — ٩١١) ، فقد ألف كتاباً فى تخريج

أحاديث الصحاح سماه : « فلق الإصباح ، فى تخريج أحاديث الصحاح » .

١٤ — وألف الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عبد العزيز المغربى التادلى ثم المدنى العمرى نزيل مكة وأحد مدرسيها كتاباً سماه « الوشاح وتثقيف الرماح ، فى رد توهيم المجد الصحاح » وقد رد فيه المؤلف على نقدات مجد الدين الفيروزبادى صاحب القاموس ، وأبان أن المجد كان واهماً فيما أخذه على الجوهرى فى كتابه الصحاح .

١٥ — وألف الشيخ أبو الفضل محمد بن عمر بن خالد القرشى المعروف بجمال القرشى كتاباً سماه « القراح بتكميل الصحاح » وهو كما يظهر من اسمه تكملة للصحاح .

١٦ — ولجمال القرشى أيضاً كتاب آخر اسمه « نور الصباح فى أغلاط الصحاح » .

* * *

وهناك حواش وتعليقات كثيرة ، بعضها كتبٌ ورسائل ، وبعضها فصول مستقلة فى كتب ورسائل ، وبعضها فى ثنايا فصول ، وسكتنا عنها اكتفاء بما ذكرنا ، وهو كاف للدلالة على اهتمام العلماء بالصحاح اهتماماً قلَّ أن وُجِّه إلى معجم سواه .

وهذا الاهتمام الذى شهدناه هو بلا ريب مظهر رائع من مظاهر النشاط اللغوى الذى بعثه الصحاح فى محيط اللغويين والأدباء وهو عدا مظاهر أخرى للنشاط اللغوى سنشير إلى بعضه فى مقدمتنا هذه .

٢ — المختصرات

ومن مظاهر النشاط اللغوى : مظهر رائع كان الصحاح باعثَه فى محيط اللغويين والأدباء ، وهذا المظهر محاولة تيسير الانتفاع به ، ويبدو فى تأليف كتب تعد اختصاراً للصحاح أو تهذيباً له ، وأهم هذه المختصرات ثلاثة عشر مختصرا — كما وصل إلى علمى — وهى :

١ — مختصر « ترويح الأرواح ، فى تهذيب الصحاح » للإمام الفقيه المحدث محمود بن أحمد الزنجانى (٥٧٣ — ٦٥٦) ولعله أقدم من تصدى للصحاح فاختصره ، ولعل « ترويح الأورواح » أقدم مختصر لكتاب الجوهرى ، وقد ذكر الزنجانى أن حجم مختصره هذا وقع موقع الخمس من الصحاح .

٢ — ثم اختصر الزنجانى كتابه ترويح الأرواح لإنه وَجد — كما جاء فى مقدمة مختصره الثانى — همم بنى الزمان ساقطة ، ورغباتهم نائمة ، وحرصهم قليلا ، وحفظهم كليلا ، فأوجز ترويح الأرواح حتى وقع حجمه موقع العشر من كتاب الجوهرى ولا يُعْوِزُه من لغته أكثر من العشر ، وهذا المختصر هو الذى ننشره .

٣ — مختصر شمس الدين محمد بن حسن بن سباع المعروف بابن الصائغ الدمشقى (••• — ٢٧٠) وهو مختصر مجرد من الشواهد .

٤ — ولتاج الدين محمود بن أبى المعالى بن الحسن الحوارى الذى كان حيا سنة ٥٨٠ ﻫ كتاب اسمه « ينابيع اللغة » جرد فيه صحاح اللغة من الشواهد ، وضم إليه من تهذيب اللغة للأزهرى والشامل لأبى منصور الجبان والمقاييس لابن فارس قدراً صالحاً من الفوائد والفرائد، وهو كتاب صالح كبير الحجم يقرب حجمه من الصحاح ، وهو غير كتابه « ضالة الأديب ، فى الجمع بين الصحاح

والتهذيب » الذى ذكرناه فى قسم الشروح والتعليقات من هذه المقدمة(١).

٥ – « مختار الصحاح » الذى ألفه شمس الدين محمد بن شمس الدين أبو بكر بن عبد القادر الحنفى الرازى ، وهو أسير المختصرات ذكراً ، وأكثرها تداولا ، وقد فرغ من تأليفه سنة ٧٦٠ .

٦ – وألف السيد محمد بن السيد حسن الشريف مختصرين ، أحدهما : « الجامع » وهو مختصر مجرد عن الشواهد ، وتكاد تكون موادُّه اللغوية موادَّ الصحاح فى العدد ، إلا أنه حذف الشواهد وأوجز فى الشرح ، ومنه مخطوطة بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة الله الحسينى فى المدينة المنورة برقم ٤٦ وعدد أوراقها ٣٩٢ فى مجلد واحد ، وفرغ ناسخها منها سنة ٩٤٨ هـ .

٧ – وثانيهما « الراموز » وليس الراموز مختصراً للصحاح فحسب ، بل زاد بعض ما أغفله الجوهرى . قال مؤلفه السيد محمد بن السيد حسن الشريف فى مقدمة الراموز : « إن كتاب الصحاح كتاب فاخر ، وبحر موّاج زاخر ، لكن لما فيه من تطويل وإطناب ، بإيراد كثير مما يستغنى عنه من الأمثال والشواهد والأنساب ، واختصره بعض الفضلاء ولكنه أخلَّ ، كما أن الأصل أسهب وأملّ ، وزاد فيه فوائد مما سمحت به قريحته الوقادة ، وطبيعته النقادة ، وإن كان بعضه مما يجاب كما أشرت إليه فى أثناء الكتاب ؛ أضفت إلى ما اختاره وقبله جميع ما أهمله من اللغة وأغفله ، لتتميم الفائدة ، وتعميم العائدة ، ثم ألحقت به غرائب ألفيتها فى المغرب للمطرّزى ، وعثرت عليها فى الفائق للزمخشرى ، والنهاية لابن الأثير أبى السعادات الجزرى » إلخ ، وقد حذف الشواهد ، وأضاف إليه كثيراً من المواد التى أغفلها الجوهرى فى إيجاز تام ، كما أضاف إليه بعض « الخواص » الطبية .

---

(١) انظر معجم الأدباء (١ : ٤١٥ و٢ : ١٠٨ و٢ : ١٧١ و٧ : ١٥١ – ١٥٢) طبعة مرجليوث .

ومن هذا الكتاب نسخة خطية هى أقدم نسخة منه على الإطلاق لأنها مسودة المؤلف الأولى ، وفرغ منها فى ربيع الآخر سنة ٨٥٧ وقد منّ الله علىّ بشرائها ، وزيّن خزانة كتبى بها .

ومن هذا الكتاب أيضاً نسختان بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة الله فى المدينة المنورة ، وكل منهما فى مجلد ، إحداهما برقم ٥٩ لغة ، وعدد أوراقها ٤٠٠ ، ونسخت سنة ٩٦١ ، وبها تعليقات بالعربية والتركية ، وتصويبات من القاموس بقلم كمال باشا زاده . والثانية برقم ٦٠ وأوراقها ٥٠٠ ، ونسخت سنة ٩٦١ أيضاً ، ولا يُعرَف ناسخا النسختين .

وبدار الكتب المصرية مصورة أخذت من أصل فى مكتبة « يكى جامع » بالآستانة ، مكتوب فى سنة ٩٨٨ ، وهى فى ثلاثة مجلدات .

٨ — ومن مختصرات الصحاح أيضاً : « ملتقط الصحاح ، والملتحق بمختار الصحاح » لبير محمد بن يوسف القرمانى الأركلى . ذكره صاحب كشف الظنون ، ولم يذكر تاريخه .

٩ — و « صفو الراح ، من مختار الصحاح » لعبد الرحمن بن عيسى الهمذانى، ومنه نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٣١ لغة .

١٠ — ومختصر للصحاح للمولى محمد المعروف بالعيشى(١) المتوفى سنة ١٠١٦ هـ ، قال صاحب كشف الظنون : « وهو أنفع وأفيد من مختار الصحاح ، كذا قيل ، لكنه غير مشهور » .

١١ — و « مختار اللغة » لمحمود بن أويس ، وهو بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة الله فى المدينة ، كتبت سنة ٨٨٧ وأوراقه ٣٠٠ ، وهو مختصر مجرد عن الشواهد ، دقيق العبارة موجزها .

١٢ — وفى خزانة المكتبة الأزهرية مختصر جليل فى مجلدين ، كتب

---

(١) وفى المقدمة التى كتبها الشيخ أبو الوفا نصر الهورينى للصحاح : « القيسى » .

سنة ١٠٠١ – ١٠٠٢ لمؤلف اسمه « الجوابى » برقم ٤٦ لغة .

١٣ – وذكر صاحب كشف الظنون مختصراً آخر للصحاح غير معروف مؤلفه ، واسم هذا المختصر « نجد الفلاح ، فى مختصر الصحاح » وهو مثل « مختار الصحاح » فى حذف الشواهد .

٣ – الترجمات

ولم يقف النشاط اللغوى الذى بثه الصحاح فى الأفق الثقافى عند حدود الشروح والتعليقات والمختصرات ، بل تجاوزه إلى أبعد من ذلك مما يدل على عظم ما نال الصحاح من قدر عند أبناء الأمم غير العربية حتى ترجم إلى الفارسية والتركية ، ومن هذه الترجمات :

١ – ترجمة أبى الفضل محمد بن عمر بن خالد القرشى المشتهر بجمال القرشى إلى اللغة الفارسية ، وسماها مؤلفها « الصراح من الصحاح » ومن هذا الكتاب نسخة بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة الله فى المدينة المنورة ، كتبت سنة ١٠٩٠ وعدد أوراقها ٤٠٠ وهو فى مجلد واحد .

٢ – ترجمة بير محمد بن يوسف الأنقروى ، وسماها « الترجمان » وهى إلى اللغة التركية ، وقد ذكر فى مقدمته أنه لما فرغ من كتابه المسمى « ملتقط الصحاح » رأى ميل الطالبين إلى الترجمة ، فألفه وسماه الترجمان .

٣ – ترجمة المولى محمد بن مصطفى الوانى المعروف بوان قولى المتوفى سنة ١٠٠٠ وهى إلى اللغة التركية . قال : « لما رأيت الاحتياج التام إلى بيان اللغة ، وكان صحاح الجوهرى مقبولا مسلما عند الفحول ، غير أن عبارته على أسلوب البلغاء ، ولسان العرب العرباء ، والمتصدى إلى نقله كالأخترى وصاحب الصراح

لم يأمن من الخبط والخطأ ، فأردت ترجمته حتى يكون سهل التعاطى » .

وذكر فى أوله مقدمة فيها فصلان : الأول ، فى بيان الأفعال ومتعلقاتها ، والثانى فى جميع الأسماء والصفات .

هذه بعض مظاهر النشاط العلمى التى كان تأليف الصحاح مادة لها ، وباعثاً إلى تسلسلها واستمرارها ، فكتاب الصحاح فى اللغة شبيه بكتاب سيبويه فى النحو ، كلاهما كان محوراً تدور عليه ناحية هامة من نواحى الثقافة العربية ، وعد كثير من العلماء الصحاح فى اللغة مثل كتاب الإمام البخارى رضى الله عنه فى الحديث .

الزنجـــانى

ترجمته[1] :

اشتهر الزنجانى بكنيتين هما : أبو البقاء ، وأبو المناقب .

واسمه محمود بن أحمد بن محمود بن بختيار الزنجانى الشافعى ، فهو من مدينة « زنجان » بفتح أوله ، وزنجان بلد كبير من نواحى الجبال قريبة من « أبهر » و « قزوين » .

وهو شافعى المذهب ، أفتى ودرّس بالمدرسة النظامية والمستنصرية ببغداد ، وولى قضاء القضاة ببغداد مدة ثم عزل .

وكان الزنجانى من العلماء الأعلام الذين برّزوا فى غير ميدان واحد ،

---

(١) طبقات الشافعية للسبكى (٥ : ١٥٤) ولتقى الدين بن شهبة الشافعى الورقة ٥٣ب من المخطوطة ١٥٦٨ بدار الكتب المصرية ، والمنهل الصافى (٣ : ٣٤٠) مخطوطة دار الكتب رقم ١١١٣ تاريخ ، والنجوم الزاهرة (٧ : ٦٨) ، وطبقات المفسرين للداودى ، الورقة ٣١٣ من مخطوطة دار الكتب رقم ١٦٨ تاريخ . وهذه المراجع مرتبة بتسلسلها التاريخى .

ويكفى أن يقول الذهبى عنه : « كان من بحور العلم ، له تصانيف » . ويقول ابن النجار : « برع فى المذهب والخلاف والأصول » .

ويذكر المترجمون له أنه صنّف تفسيراً للقرآن ، وأنه حدث عن الإمام الناصر لدين الله بالإجازة ، وروى عنه الدمياطى .

مولده ووفاته :

ولد الزنجانى سنة ٥٧٣ ، واستشهد فى كائنة بغداد بسيف التتار سنة ٦٥٦

تهذيب الصحاح

نسخة تهذيب الصحاح :

هى نسخة فريدة نادرة فى مكتبات العالم جميعاً ، كتبت بخط يشبه خط القرن التاسع الهجرى ، وقد وقعت إلى الأديب الكبير الشاعر المطبوع الأستاذ الشيخ محمد سرور الصبان أحد رجالات المملكة العربية السعودية ، وزعيم النهضة الأدبية فى الحجاز .

وليس على النسخة اسم الكتاب ولا اسم مؤلفه ، وقد حملنى ذلك على أن أنفتل إلى المراجع باحثاً عن اسم الكتاب والمؤلف .

أما اسم الكتاب فلم نجد فيما لدينا من المراجع نصًّا صريحاً يدلنا عليه ، وأما اسم مؤلفه فقد اهتدينا إليه بما ورد فى مقدمة الكتاب التى نقل بعضها السيد محمد صديق حسن خان بهادر ، ملك مملكة بهوبال فى صفحة ١٢٩ من كتابه « البلغة فى أصول اللغة » (١) فى الفصل الذى عقده عن صحاح الجوهرى ، وذكر أنها مقدمة محمود بن أحمد الزنجانى للكتاب الذى اختصر فيه كتابه الآخر « ترويح الأرواح ، فى تهذيب الصحاح » .

---

(١) طبعة الجوائب .

وهذا نص « البلغة » : «واختصره محمود بن أحمد الزنجانى المتوفى سنة ٠٠٠ قال : لما فرغت من كتاب ترويح الأرواح ، فى تهذيب الصحاح ، ووقع حجمه موقع الخمس من كتابه بتجريد لغته من النحو والتصريف الخارجين عن فنه ، وإسقاط ما لا حاجة إليه من الأمثال والشواهد أوجزته إيجازاً ثانياً حتى وقع حجمه موقع العشر » .

كما أن هذا النص نفسه قد أورده صاحب كشف الظنون (طبعة بولاق ١ : ٤٠٠)

وهذا يقطع بأن كتابنا هذا هو نفسه كتاب الزنجانى ، فمقدمته هى نفسها التى نقل بعضها كشف الظنون والبلغة .

وقد فكرنا فى اختيار اسم لهذا الكتاب الذى لم يسم على نسخة الأصل ولا فى المراجع التاريخية ، فرأينا أن نقتبس له اسماً من الكتاب الآخر للمؤلف ، وهو « ترويح الأرواح ، فى تهذيب الصحاح » فأسميناه « تهذيب الصحاح » .

قيمة تهذيب الصحاح :

لهذا الكتاب قيمتان : إحداهما قيمة ذاتية ، والأخرى قيمة إضافية .

فأما قيمته الذاتية فتتجلى فى قيمته التاريخية ، إذ يُعد من أقدم المختصرات ، وتتجلى أيضاً فى سهولة العبارة ، ودقة الإيجاز ، ووضوح الأسلوب ، وتجنب الفضول ، إذ تبدو عبارته مضغوطة ضغطاً متزناً ، وقد عبر المؤلف نفسه عن ذلك فى مقدمته إذ يقول : « فأوجزته إيجازاً ثانياً حتى وقع حجمه موقع العشر من كتاب الجوهرى ولا يُعْوِزه من لغته أكثر من العشر » .

وشىء آخر يمتاز به هذا الكتاب ، ذلك حرصه على الأصل ومساوقته له ، فقليلا ما عدل عن عبارته ، أو عن ترتيب مفرداته ، وقليلا ما زاد شيئاً على أصله « الصحاح » إلا أن تحمله إلى ذلك ضرورة[1] ، وعلى هذا فإن هذا

(١) تتبعنا تلك المواضع بدقة ، وأشرنا إليها فى الحواشى .

المختصر يُعد وثيقةمنوثائق تحقيق « الصحاح » إن قُدر له أن ينشر نشراً علمياً صحيحاً .

وأما قيمته الإضافية فتبدو فيما أضفنا إليه من شروح وتعليقات وحواش أثبتناها فى ذيول الصفحات ، ملتزمين المنهج العلمى الذى نوجزه فيما يلى .

<u>المنهج العلمى للتحقيق والإخراج</u> :

اتبعنا فى تحقيق هذا الكتاب ونشره وإخراجه منهجاً علمياًّ لا نقول إننا لم نسبق إليه ؛ ولكننا نستطيع أن نقول فى غير تنفُّج أو كبرياء : إننا بذلنا النكيثة (١) فى سبيل إخراج الكتاب إخراجاً علمياًّ صحيحاً ، واتبعنا فى سبيل ذلك أكثر من ثلاثين منهجاً ، أعظمها :

١ — المحافظة على نص المؤلف دون أن نزيد عليه أو نحذف منه شيئاً ، كما حافظنا على ترتيبه وطريقته وأسلوبه كل المحافظة ، ولم نرد أن نتصرف فى منهج المؤلف ، أو نسلبه حقه ، بل تركناه يتمتع بحقه المقدَّر له .

٢ — معارضة تهذيب الزنجانى بنسخة الصحاح المطبوعة معارضة دقيقة ، ثم عارضناه بنسختين مخطوطتين : إحداهما ، مخطوطة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة الله فى المدينة المنورة ، المكتوبة سنة ٦٨١ هـ وأوراقها ٣٩١ ، ورقمها ٧٩ لغة ، والثانية بدار الكتب المصرية المقروءة على العكبرى ورقمها ٥٠٧٩ .

٣ — تقييد الضبط المهمل ، وذلك بالنص عليه .

٤ — بيان اللغات التى وردت فى الضبط مع التنظير لذلك .

٥ — توضيح ما جاء فى عبارة الكتاب من غموض لغوى ، وبذلك تغلبنا — أيضاً — على التفسير الدائرى الذى يعد من عيوب معاجمنا . مثل « القلام ، بالتشديد : القاقلى » ص ٧٧٧ والمعاجم تفسر القاقلى بالقلام ، ففسرنا أمثال

(١) النكيثة : أقصى الجهد .

ذلك بما ورد عن أئمة اللغة الأعلام مع شرح الغامض وإيضاح المبهم .

٦ – تفسير غالب ما قال الزنجانى إنه معروف ، وهو غير معروف فى عصرنا هذا ، أو هو معروف ولكنه يحتاج إلى حد لغوى أو علمى أو أدبى أو تاريخى .

٧ – النص على جموع المفردات ، وعلى مصادر الأفعال التى أهملها المؤلف ورأينا ضرورة إلى ذكرها .

٨ – بيان المذكر والمؤنث ، وما يستوى فيه التأنيث والتذكير .

٩ – عقد مقابلات وتنظيرات فى المعانى والألفاظ العربية التى وردت فى هذا المعجم .

١٠ – عقد مقابلات وتنظيرات لما ورد فى العامية الحجازية والنجدية والمصرية مطابقاً لما ورد فى الفصيح ، وكثير من كلمات نجد العامية غير معروفة فى العالم العربى ، ولهذا أشرنا إلى بعض كلمات صحيحة فصيحة تُظنُّ عند سماعها عامية لانقطاع سماع الناس إياها منذ عشرة قرون أو أكثر ، وإهمال الفصحاء استعمالها منذ هاتيك القرون حتى الآن . وقد أردنا بذلك أمرين :

الأول : أن نسجل تسجيلا تاريخيًّا لغويًّا هذه اللغة التى ربما شردت أو ندت فى عبارة بعض الكتاب المعاصرين ، لمعرفة مدلولها حين يتقادم بها العهد .

والثانى : غرض علاجى ، وهو التنبيه إلى وجود العدول عن الصورة الخاطئة اللغوية إلى الصورة الصحيحة الفصيحة ، وقديماً صنع ذلك أسلافنا اللغويون فى كتبهم ومعاجمهم ، بغية الإصلاح والإرشاد .

١١ – بيان بعض المصطلحات العلمية والأدبية القديمة والمعاصرة ، وذلك بالرجوع إلى المصادر القديمة والحديثة ، والاتصال « الشخصى » بالأعلام فى هذه العلوم والفنون ، وقد قمنا بذلك تكميلا لنصوص هذا المعجم التى وردت فيها هذه المواد .

١٢ ــ تأصيل الألفاظ المعربة والدخيلة على اللغة العربية ، أى بيان أصلها الذى انحدرت منه إلى مستوى التعريب أو الإقحام ، وقد استعنا فى ذلك بنصوص الأقدمين ، وبالمعاجم الأجنبية الحديثة ، وبكل ما يؤدينا إلى هذا المطلب .

١٣ ــ تحقيق الأعلام التى وردت فى المواد اللغوية وترجمتها فى إيجاز ، مع بيان مصادر الترجمة .

١٤ ــ تحقيق أسماء القبائل ، وبيان أسماء القبائل ، مع بيان مراجع التحقيق والتعيين .

١٥ ــ بيان الفرق والطوائف الدينية ، والأجناس البشرية .

١٦ ــ تحقيق مواضع البلدان التى وردت فى المعجم ، وتعيينها ، مستعينين فى ذلك بالمراجع القديمة والحديثة ، ومما هو جدير بالذكر أن فى المعاجم البلدانية القديمة اضطرابات كثيرة لا تمكننا معارفنا المحدودة من تحقيقها أو الجزم بها إلا فى حدود الاستطاعة ، فقد نحقق شيئاً وقع فيه القدماء ، وقد نقع فيما وقعوا فيه لقصور علمنا فيما قصر علمهم فيه ، ولخلو المكتبة العربية الحديثة من كتب البلدانيات الصحيحة الشاملة ، ذات التحقيق العلمى الصحيح مما يتعلق بالأمكنة والمواضع فى الجزيرة .

١٧ ــ الكلام على أيام العرب التى ورد لها ذكر فى المعجم ، وبيان المراجع التى تكفلت بذلك .

١٨ ــ العناية ببيان القراءات التى وردت فى الآيات التى استشهد بها المعجم ، وتحقيقها ، مع الرجوع إلى كتب التفسير ، وكتب القراءات المعروفة والشاذة .

١٩ ــ تحقيق الشواهد الشعرية ، ونسبة ما لم ينسب إلى قائله ، ورد ما نسب إلى غير صاحبه خطأ ووهماً إلى صاحبه ، وإيراد أصح الروايات لهذه الشواهد .

٢٠ – الإشارة إلى الكلمات التى ذكرت فى غير أبوابها ، فقد ذكر الجوهرى بعض ألفاظ فى غير أبوابها الصحيحة ، وتبعه الزنجانى ، مثل « حانوت » ذكرها الزنجانى فى مادة (ح ى ن) مُتَّبعا الجوهرى فى ذلك ، وحقها أن تذكر فى (ح ن ت) .

٢١ – بيان أوهام الجوهرى وما كتبه الصغانى وابن برى وغيرهما تعليقاً على ذلك .

٢٢ – بيان أوهام غير الجوهرى من اللغويين ، وتجد ذلك منثوراً فى عشرات المواضع من هذا الكتاب .

٢٣ – تصويب ما ظنه بعض أئمة اللغة لحناً وليس بلحن ، مثل الأئمة الأعلام : الأصمعى والأزهرى والجوهرى الذين ظنوا أن قولهم : « شتان ما بينهما » خطأ فى حين أنه صواب ، ومثل « استأهل » بمعنى استحق ، وقد منعه الجوهرى وكثير من العلماء ، مع أنه ورد عن فصحاء الأعراب .

٢٤ – الإشارة إلى بعض ما صحّفه أو حرّفه بعض مؤلفى المعاجم ولم يشر إليه الزنجانى وإن كان استعمل الصحيح ، مثل : « الغمل » فى صفحة ٧٢٥ من هذا الكتاب : « حلم الأديم ، بالكسر ، إذا فسد الإهاب فى الغمل فتثقب » وقد وردت فى الصحاح واللسان والقاموس « العمل » بالعين المهملة ، وهو تحريف .

٢٥ – إثبات نوادر وغرائب لغوية فيما أضفناه إلى المعجم ، وبعضها ممعن فى الغرابة إمعاناً شديداً ، بل ذكرنا بعض ما جاء عن العرب مما يعد من أغرب ما سمع عنهم ، وذلك مثل « أَوَّةٍ » . جمعها « أُوَوٌ » . وقد قال أبو عمرو الشيبانى : هذا من أغرب ما جاء عن العرب حين جعلوا الواو كالحرف الصحيح فى موضع الإعراب فقالوا « أُوَوٌ » بالواو الصحيحة ، والقياس فى ذلك « الأُوَى » مثل قوة وقوى ، ولكن هكذا حكى هذا الحرف محفوظاً عن العرب .

٢٦ – الإشارة إلى ما زاده الزنجانى على الصحاح ، وتتبعنا مواضع الزيادة

بدقة وأثبتناها فى الحواشى .

٢٧ — الاعتماد فيما أضفناه على مخطوطات نادرة مثل : تهذيب اللغة للأزهرى ، والتكملة للصغانى ، والأزمنة لقطرب ، وما اختلف لفظه واتفق معناه لأبى العميثل ، وغير ذلك كثير مما أشرنا إليه فى فهرس المراجع(١)

٢٨ — عمل فهرس فنى كامل للغة والأعلام والقبائل ونحوها ، وقد قصدنا بفهرس اللغة أن نيسر للباحث العثور على ضالته فى سهولة ويسر واستيعاب ، فإن الترتيب الحديث للمعاجم — وهو الذى يجرى على ترتيب المواد على حسب أوائلها — أيسر من الترتيب القديم الذى انتهجه الجوهرى وغيره من مؤلفى المعاجم . ولم نشأ من قبلُ — كما ذكرنا — أن نرتب التهذيب ترتيباً مخالفاً للأصل ، حرصاً منا على أن نقدم الكتاب فى أمانة على الصورة التى ورد بها ، وألا نعتدى على حق المؤلف فى وضعه بالوضع الذى ارتضاه .

* * *

هذه صورة تقريبية للمنهج العلمى الذى اتبعناه بدقة فى إخراج هذا الكتاب وبهذا ارتفعت قيمته العلمية ، إذ أعطانا فرصة طيبة لإثبات ما أردناه من تحقيقات نادرة ، وتنبيهات علمية نافعة ، مما لا نجد له مكاناً تجتمع فيه أوفق من هذا المكان فى هذا المعجم .

وليس هذا الكتاب كتاباً واحداً ، بل ثلاثة كتب : أحدها ، قديم يُعتزُّ بنصه ، وقيمته العلمية والتاريخية . والثانى ، ما أضفناه إلى الأصل من الفوائد والخدمات اللغوية والعلمية والأدبية مما يعد سفراً حافلا بأطايب ثمرات اللغة

---

(١) لم نشر فى تعليقاتنا إلى المراجع التى أخذنا منها كل كلمة أو تعليقة لئلا نشغل بأسمائها مكاناً رأينا أن نشغله بما يفيد القارئ ، ولو أردنا أن نشير إلى هذه المراجع فى تعليقاتنا لنقص ما أضفناه إلى الربع ، ولهذا اكتفينا بإفراد فهرس فى آخر الكتاب ذكرنا فيه المراجع بالتفصيل ، ومع هذا ذكرنا فى قليل من الصفحات بعض المراجع التى رأينا الضرورة تحملنا عليه . ثم إن كثيراً من التعليقات من الذاكرة والدفاتر الخاصة .

والعلوم والآداب والفنون ، ونستطيع أن نقول : إنا أردنا بذلك أن نعقد بين الباحث المبتدئ والمعاجم الكبيرة والأصول اللغوية صلة تدعوه وتمكنه من الرجوع إليها إذا وجد إلى ذلك سبيلا ، وإذا لم يجد سبيلا فإنه واجد فى هذا الكتاب غنية صالحة . والثالث ، معجم حديث ، وهو الفهرس اللغوى الذى جمعنا فيه الموادّ اللغوية الأصيلة والمضافة منا ورتبناها ترتيب المعاجم الحديثة ، ليكون مفتاحاً فى يد القارئ ، يستعين به فى الوصول إلى ما يريد من الكلمات اللغوية التى فى صلب الكتاب .

وما نود أن نصف الجهد الذى بذلناه فى الإخراج والتحقيق وإضافة ما أضفناه إلى الأصل ، ولا أن نذكر ما لقينا فى سبيل هذا الإخراج الذى تم فى بضعة أشهر ، بل نترك ذلك إلى القارئ يتصور كيف شاء ذلك الجهد الذى نعرف أنه جهد المقل ، ومع هذا فإننا نجد ما يحدونا على أن نقول : إن هذا المعجم المختصر قد خرج بعملنا هذا عن حدود المعاجم الصغيرة إلى أفق المعاجم الوسيطة .

مختار الصحاح

لقد ظفر « مختار الصحاح » بشهرة كبيرة فى عصرنا الحاضر ، ومرد هذا إلى غير سبب واحد ، فهو معجم ضم من صحيح اللغة وفصيحها طائفة صالحة يحتاج إليها طلبة العلم ، ومع هذه الميزة فإنه أول معجم صغير تنشره المطبعة العربية ، وهو — من غير شك — من خير المعاجم الصغيرة الموثوق بها ، ولا غنية لأحد عنه ، فهو صالح لأن يحتل مكاناً مرموقاً فى مكتبة الأديب ، والشاعر ، والعالم ، والفقيه ، والمحدث ، لأن فيه ما لا بد منه لكل هؤلاء ، وأما مؤلفه فمحمد بن أبى بكر الرازى ، وهو ممن أخذوا بنصيب كبير من اللغة والعلم والأدب ، ووهب حظّاً من الذكاء والفهم ؛ وكان مطلعاً واسع الاطلاع على الأدب العربى ،

وقد ترجم له العلامة الشيخ أبو الوفا نصر الهوريني رحمه الله وأثابه فى نهاية أول طبعة من مختار الصحاح ترجمة نادرة هذا نصها : « إن الإمام زين الدين محمد ابن شمس الدين محمد بن شمس الدين أبى بكر بن عبد القادر الرازى من أهل القرن الثامن ، كان الفراغ من تأليفه لهذا المختار الذى هو مختار صحاح الجوهرى فى سنة ٧٦٠ ولصاحبه من المؤلفات : هداية الاعتقاد ، شرح على قصيدة : * يقول العبد فى بدء الأمالى * وله من المؤلفات أيضاً : كتاب التوحيد ، نقل عنه الدميرى فى حياة الحيوان آخر ترجمة الجن . وله أيضاً : كتاب تفسير غريب القرآن ، أوله : الحمد لله بجميع محامده . وذكر فيه أن طلبة العلم وحملة القرآن سألوه أن يجمع لهم تفسير غريب القرآن ، فأجابهم ورتبه كترتيب صحاح الجوهرى ، وضم إليه شيئاً من الإعراب والمعانى . وله أيضاً : شرح على المقامات الحريرية ينقل عنه المسيو ده ساسى فى شرحها . وله كتاب أسئلة القرآن وأجوبتها ، وهى ألف ومائتان . وقد لخصها شيخ الإسلام زكريا الأنصارى الشافعى رحمه الله تعالى ، وزاد عليها . ورأيت له أيضاً فى كتبخانة باريس ، قاعدة مملكة الفرنسيس ، تاريخاً لطيفاً من أول الخلافة الإسلامية إلى القرن الذى كان فيه . ورأيت أيضاً تأليفاً له اسمه : معانى المعانى ، يحتوى على عشرة فصول فى أربع كراريس ، وموضوعه جملة أشعار انتخبها من مائة ألف بيت ، الفصل الأول فى الغزل وما يتفرع منه وما يلحق به من شعر ابن سهل ، وفى الفصل الثالث من شعر ابن خفاجة الأندلسى ، فانظره إن شئت » . ا هـ

وخير مؤلفات الرازى التى اشتهر بها كتابه « مختار الصحاح » الذى أوجزنا وصفه ، ونزيد — هنا — أن « المختار » يمتاز بدقة الضبط ، وحسن الإيجاز ، وبراعة الاختيار ، وفى ذلك يقول الرازى :

« هذا مختصر فى علم اللغة ، جمعته من كتاب الصحاح للإمام العالم العلامة أبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى رحمه الله تعالى ، لما رأيته أحسن أصول اللغة ترتيباً ، وأوفرها تهذيباً ، وأسهلها تناولا ، وأكثرها تداولا ، وسميته « مختار الصحاح »

واقتصرت فيه على ما لا بد منه لكل عالم فقيه أو حافظ ، أو محدث ، أو أديب من معرفته وحفظه ، لكثرة استعماله وجريانه على الألسن مما هو الأهم فالأهم ، خصوصاً ألفاظ القرآن العزيز ، والأحاديث النبوية ، واجتنبت فيه عويص اللغة وغريبها طلباً للاختصار ، وتسهيلا للحفظ ، وضممت إليه فوائد كثيرة من تهذيب الأزهرى وغيره من أصول اللغة الموثوق بها ، ومما فتح الله تعالى به على ، فكل موضع مكتوب فيه « قلت » فإنه من الفوائد التى زدتها على الأصل ، وكل ما أهمله الجوهرى من أوزان مصادر الأفعال الثلاثية التى ذكر مصادرها فإنى ذكرته إما بالنص على حركاته ، أو برده إلى واحد من الموازين العشرين التى أذكرها الآن » ، إلخ .

ومن « مختار الصحاح » مخطوطات كثيرة بكثير من دور الكتب فى العالم ، وعلى الأخص دار الكتب المصرية منها الأرقام ٥٦ , ٥٧ , ١٩١ , ٢١٣ و٣٥١ و٣٦٥ و٣٦٦ و١٠ ش لغة ، وعندى منه مخطوطتان جميلتان .

ومن المختار طبعات كثيرة ، والتى اطلعت عليها كثيرة ، منها :

١ — طبعة بولاق سنة ١٢٨٢ هـ وهى أول طبعة للمختار .

٢ — طبعة وادى النيل سنة ١٢٨٩ هـ .

٣ — طبعة المطبعة الشرقية سنة ١٣٠١ هـ ، بتصحيح السيد حماد الفيومى العجماوى .

٤ — طبعة بولاق الثانية سنة ١٣٠٢ هـ ، بتصحيح محمد الحسينى .

٥ — طبعة الخيرية سنة ١٣٠٤ هـ .

٦ — طبعة المطبعة البهية سنة ١٣٠٥ هـ .

٧ — طبعة المطبعة الخيرية أيضاً سنة ١٣٠٨ هـ .

٨ — طبعة العامرة العثمانية بتصحيح إبراهيم الفيومى سنة ١٣١١ هـ .

وكل هذه الطبعات مطابقة لترتيب الأصل ، ونظام الجوهرى ، ولم تمتد إليها يد التصرف والحذف والبتر .

ثم فكرت وزارة المعارف المصرية فى طبعه فأفسدت جوهره بأمرين : أحدهما ، تغيير ترتيبه ، ليكون موافقاً لترتيب أساس البلاغة والمصباح المنير ، والآخر حذف « ما لاينبغى أن يطرق مسامع النشء » وكان أولى بوزارة المعارف المصرية أن تغير اسم الكتاب وتخلع عليه اسماً جديداً ، مراعاة للأمانة العلمية ، إذ ليس من الأمانة أن يحدث الناشر تغييراً جوهريًّا فى الكتاب ، ويتصرف فى ترتيبه ونظامه ، ويحذف ما يريد ، ثم يستبقى اسمه واسم مؤلفه الذى اعتُدى على حقه .

وقد وكلتْ وزارة المعارف المصرية أمر القيام بهذا الترتيب والاختصار إلى الأستاذ محمود خاطر ، وأشرف على التحقيق العلامة الشيخ حمزة فتح الله ، وكان ذلك من سنة ١٣٢٣ — ١٣٢٥

ومهما يكن فإن نشرة وزارة المعارف المصرية ممتازة من حيث التحقيق والضبط .

وذكرنا هذا الفصل لنشير للقارئ إلى أشهر مختصرات الصحاح وطبعاته ثم لنعقد موازنة موجزة بين مختار الصحاح وتهذيب الصحاح .

وقد أشرنا من قبلُ إلى قيمة « تهذيب الصحاح » . وها هو ذا بين يدى القارئ ، وفى وسعه أن يعقد — هو نفسه — الموازنة بينهما إن أراد ، وهو لن يخرج عن رأينا ، فمختار الصحاح ، ليس وثيقة تاريخية كتهذيب الصحاح للزنجانى ، فالرازى تصرف كثيراً ، وزاد من عنده شيئاً كثيراً ، وأمانته العلمية دفعته إلى أن يشير فى مقدمته إلى تصرفه ، وعزَّز هذه الإشارة فى صلب الكتاب . أما الزنجانى فقد حافظ على الصحاح ونصوصه إلا قليلا ، ولهذا كان كتابه إحدى الوثائق التى يعتمد عليها فى نشر الصحاح ، أما مختار الصحاح فليس كذلك لما زيد فيه وأضيف إليه إضافات خرجت بالمختار عن أصل الصحاح وباعدت بينهما كثيراً .

ثم إن تهذيب الزنجانى يمتاز على المختار بكثرة مواده اللغوية ، ودقة إيجازه .

ولئن كان الزنجانى لم ينقص فى تهذيبه من الصحاح غير العشر ، فإن مختار الصحاح لم يحو من مواد الصحاح إلا العشر .

وهناك غير هاتين الميزتين ، ولكنّ ذلك يعود إلى من حقق تهذيب الزنجانى بما أضاف إليه من مواد العربية ونوادرها ومن غريبها ما كان منثوراً فى عشرات الكتب مخطوطة ومطبوعة ، ووضع فى طبعتنا هذه الموضع الذى يحسن أن ينزله .

ولعل كل هؤلاء مما يكسب تهذيب الزنجانى خصائص وميزات لا ينتظمها « مختار الصحاح » ولا غيره من المختصرات ، بل لا ينتظمها كثير من المعاجم الكبيرة وإن كانت تفضل « تهذيب الصحاح » فى كثير من الخصائص والسمات.

* * *

وبعد فقد عملنا ما أمكننا الجهد أن نسهم فى خدمة هذه اللغة الكريمة التى ناهضها كثير من المناهضين فعزتهم ، وحاربها جمع من ذوى الأهواء الباطلة فهزمتهم ، وذلك بفضل الله وفضل كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ ثم فضل حماة العربية الغيُر عليها من أبناء الأقطار التى تتكلم العربية ، وعلى الأخص زعماء الأدب الحديث والمشتغلين باللغة العربية من أقطاب العلم والفكر .

ولا ننسى ما أسدى أعضاء المجمع اللغوى بمصر إلى اللغة العربية ثم ما أدى مجمع دمشق ومجمع بغداد من خدمات جُلى للغة .

أما خدمات المملكة السعودية للغة العربية فيسيرة تخطئها العين المجردة إذا ألقت إليها النظر من بعيد ، إلا أننى أعتقد أن هذه الخدمات ستكبر مع الأيام ، لأن الحكومة السعودية معنية بلغة القرآن ، ولأن عاهل الجزيرة عربى صميم ، ولغة العرب لغته ، فهو معنيٌّ بخدمتها ، وحريص على نشر الثقافة وآثار علماء العربية بين أبناء الشعب السعودى ، ومع ذلك فإن بلادنا عزوف عن الدعاية والإعلان ، إلا أن قيام الأستاذ الكبير الشيخ محمد سرور الصبان — أحد رجالات المملكة العربية السعودية — بنشر هذا المعجم يُعدُّ أول مشاركة واضحة من البلاد المقدسة لمصر وغيرها من البلدان العربية فى بناء صرح

العربية من جديد ، وأول حركة قوية فى ميدان الثقافة الصحيحة واللغة ، متوخيا فى ذلك رغبات عاهل الجزيرة العربية الدائب على إحياء لغة القرآن .

ومحمد سرور الصبان أديب ، وشاعر ، وعالم ، إلا أن بروزه فى سياسة المال والاقتصاد وشهرته بهما غلبا على شهرته العلمية والأدبية ، ولولا أعماله الكبيرة التى تلتهم كل وقته ، وتصرفه عن الكتابة لا القراءة — فهو قارئ ممتاز ولا يترك القراءة حتى فى مرضه — لرأينا منه الشىء الكثير فى حقل التأليف والتحقيق العلمى ، فهو عند ما كان فى ريعان شبابه ، وكان لديه متسع من الوقت يكتب فيه قام بالحركة الأدبية ووجّه الشباب إلى الأدب الرفيع ، والعلم الصحيح ، وكتب كثيراً فى الشعر والنثر .

وكان وهو فى ريعان شبابه أول من نادى فى الحجاز برعاية الفصحى والعناية بها ، وكان من الأفذاذ القلائل الذين نادوا بالالتفاف حول العربية وإعزازها والنهوض بها ورفع مستواها وتيسيرها قبل كثير من الأقطاب الذين اشتهروا فى هذه الأيام بأنهم حماة العربية الأقوياء ودعاتها السباقون ، فهو قد قام بهذه الدعوة المباركة منذ ثلاثين سنة ، ونشر فى ذلك التاريخ كتاباً سماه « المعرض » جمع فيه آراء بعض شباب الحجاز ، ثم عمل بما لديه من وسائل على تحقيق أمنيته ، فاتصل بكبار من يفدون إلى مكة للحج من العلماء والأدباء عرباً وغير عرب ، كما اتصل ببعض المستشرقين الذين زاروا المملكة العربية السعودية ، وبحث معهم جميعاً مشكلة اللغة العربية ، وقدم مقترحات وآراءً قوبلت بالحفاوة والقدر العظيم .

ومن الفخر للبلاد المقدسة أن نقول : إن محمد سرور — وهو أحد أبنائها البررة المخلصين — استطاع أن يكون من ذوى الفضل فى جعْل اللغة العربية لغة مفروضة فى كثير من البلدان الإسلامية التى تتكلم غير العربية .

كل هذا يدل على غيرة الأستاذ الصبان على العربية وحرصه على أن تسترد مجدها المضيع ، فتكون لغة تتسع لكل ما يطلب من لغة عالمية .

ومن دلالات هذه الغيرة وأمارات هذا الحرص أن يكون الأستاذ الصبان

أول داع إلى إنشاء « مجمع لغوى » بالبلاد التى كانت أصل العربية وما زال بها بعض أمارات هذا الأصل ، والمملكة السعودية — الآن — تضم أصحاب اللغة الأصلاء من قريش وقيس وأسد وتميم ، ولكن العهود الماضية التى تولى فيها أمر الجزيرة عناصر غير عربية كانت عهود فساد بالنسبة إلى اللغة ، ولم تأخذ الجزيرة فى استرداد مكانتها إلا بعد أن رجع الحكم إلى العرب أنفسهم .

وما دامت المملكة السعودية تضم أبناء أصحاب اللغة الأصلاء فإن من الجدير بها أن تستجيب لاقتراح الأستاذ الصبان ، وتقوم بإنشاء « مجمع لغوى » فى عاصمة أرض العرب يشارك مجمع مصر اللغوى وغيره من مجامع العلم فى البلاد العربية الجهود المباركة .

وإن فى زوايا تهامة وبادية الحجاز ونجد لمجالا واسعاً للباحثين ممن يعنيهم أمر اللغة العربية ولغاتها ولهجاتها القديمة والحديثة ، وفى إنشاء المجمع اللغوى بعاصمة أرض العرب عون جميل لأولئك الباحثين الذين سيجدون فى بوادى الحجاز ونجد آثاراً تكشف عن كثير من أسرار العربية وحقائقها التاريخية وبقايا الفصحى وبعض أطلالها ، وتمهيد حسن لأن يعود إلى صاحب الحق حقه ، ومشاركة منا لغيرنا من العرب تحقيق الوحدة التى لا تتم إلا بالوحدة اللغوية ، وتأييد العربية وإعزازها ، ودعاية طيبة لبلادنا التى تعمل لأن تضيف إلى مكانتها القديمة مكانة جديدة .

وأعتقد أن مقترَح الشيخ الصبان سيجد آذاناً صاغية من أولياء الأمر فى بلادنا ، فالمقترِح رجل مخلص لبلاده وأمته وحكومته ، والمقترح عليهم حراص على لغة القرآن .

ولا يفوتنى كذلك أن أقدم أجزل شكرى إلى الأستاذ الصبان الذى تبنَّى مشروع نشر هذا الكتاب وتحقيقه ، وبذل فيه الكثير إسهاماً منه فى خدمة لغته التى عمل لإنهاضها منذ كان فتى يانعاً ، وحرصاً منه على نشر لواء العربية الخفاق.

وإن الشيخ الصبان جدير بأن يكون أسوة لمن تنبض قلوبهم بحب العروبة

وإعزاز لغة الإسلام .

ولقد أراد الشيخ الصبان أن يقوم وحده بنشر الكتاب ، ولكن ما لديه من أعمال كثيرة حال دون ذلك ، فأراد أن يشركني معه في تحقيق الكتاب ، فحالت أعماله — أيضاً — عن الإسهام في التحقيق ، فطلب إلى أن أختار له من ينوب عنه في القيام بهذا العمل الجليل ، وأخيراً اتفق رأيي ورأيه على اختيار المحقق العلامة الأستاذ عبد السلام محمد هارون — الأستاذ بجامعة فؤاد الأول — ودعوناه أن يتفضل ويشارك في تحقيق هذا المعجم بما لديه من علم واسع بالعربية ، ورجوناه أن يكون لنا عوناً وظهيراً ، فكان — أمد الله في عمره — عند حسن الظن به .

وقبل أن أختم المقدمة أقدم جزيل شكري لأخي العلامة الثقة المحقق الثبت الأستاذ عبد السلام هارون الذي شاركني في تحقيق هذا المعجم وإحيائه مشاركة تامة ، وبذل معي من الجهود المباركة أحفلها بالثمر ، كما أنني أنتهز هذه الفرصة فأشيد بذكر الأستاذ هارون وما لمست منه من أجمل العون ، ولقيت منه من كرم الضيافة وحسن الاحتفاء وصدق المودة ، ولست بحاجة أن أنوه بمزاياه وعلمه وثقافته التي جعلتني شديد الحرص على أن أضع يدي في يده ونسير — معاً — في تحقيق « تهذيب اللغة » للإمام الأزهري تمهيداً لنشره . والله الموفق .

أحمد عبد الغفور عطار

القاهرة } الأحد في ١٠ / ١ / ١٣٧٢ هـ
٣٠ / ٩ / ١٩٥٢ م